مَادّةُ (ح، ج، ر) في الاسْتِعْمَال القُرآنيّ

دِرَاسَةٌ في السِّيَاقِ وَالتَّرْكِيْبِ

Ha, Jeem and Ra in the Quranic Use

A Study on Context and Structure

أ.م.د. عبدُالزَّهْرَةِ زَبُونْ

الجامعة المستنصرية

كلية التربية . قسم الغة العربية

Asst. Prof. Dr. Abdelzahra Zaboon

Department of Arabic
College of Education
Al-Mustansiriya Univercity

zuboon22@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

إنّ الفهم المتولّد من سرّ الارتباط الحيويّ بين ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه، والعلاقة العضويّة بينهما يعدّ فضاءً رحبًا لا تضيق فيه الدلالات المتآلفة من جوهر معنى اللفظ والتركيب؛ إذ له قدرة كبرى على الاتساع والامتداد؛ لأنّ المعنى لا يتحوّل من لفظ معجميّ مجرّد محدّد إلى تأويل أوسع إلاّ بشغل اللفظ في بنية تركيبيّة، وربط هذه البنية مع غيرها في سياق، والسياق مع سياقات أخرى؛ لتصل إلى التعبير عن المكنونات الثاوية للدلالات؛ لذا جاء هذا البحث تبيانًا لكيفيّةِ استخدام هذه اللغةِ لتحقيق أهداف النصّ القرآنيِّ وغاياته، بدراسةٍ تربطُ النِّظامَ النَّحويَّ واللغويّ بالطريقة التي وُظِّفَ فيها هذا النظامُ لأداء المعاني، في ضوء إبراز العلاقة بين الإعراب واللفظ والمعنى والتركيب؛ ووسمنا هذا البحث بـ (مادّة (ح،ج،ر) في السياق والتركيب في الاستعمال القرآنيّ)؛ ليكون إجراءًا تنفيذيًّا، ومصداقًا لما قدّمنا.

ABSTRACT

The perception, emanating from the crestive nexus between the Quranic utterances and structures and the organic bonds in them, surges into existence the semantic allusions never derail from the heart of the utterance and structure; it is celebrated with the ability to expand and dominate as the dictionary meaning ramifies into shades of connotation, it is necessary to yoke the structure with meaning and the context to fathom the semantic allusions. As such the current study heaves into reality to have the targets of the Quranic texts and manifests the system that combines both the syntax and linguistics in a way to cull the meaning and in light of the relations between parsing, utterances, content and structures: Ha, Jeem and Ra in the Quranic Use, a study on context and structure to achieve what it is tackled above.

... المقدَّمَة ...

جَهَدَ اللغويّون والنحويّون والمفسّرون والبلاغيّون أنفسَهم في محاولة إيجاد محاورة بين أشكال اللفظ وأشكال التراكيب من جهة، وبين دلالاتها من جهة أخرى؛ حين نظروا في القرآن الكريم، ولكن كما يبدو لي أنّ هذه الجهود لم توفِ ما رامت إليه تمامًا إذا ما أدركنا شيئًا من سرّ الارتباط الحيويّ بين ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه، والعلاقة العضويّة بينهما؛ بوصف أنّ الفهم المتولّد عن هذا الترابط يعدّ فضاءً رحبًا لا تضيق فيه الدلالات المتآلفة من جوهر معنى اللفظ والتركيب؛ إذ له قدرة كبرى على الاتساع والامتداد؛ يقول الدكتور محمّد عبدالله درّاز: «فأمّا سائر العلوم القرآنيّة فقد يقال إنّها من نوع ما يدرك بالعقل، فيمكن أن ينالها الذكيّ بالفراسة أو بالرويّة. وهذا كلام قد يلوح حقًّا في بادئ الرأي، ولكنه لا يلبث أن ينهار أمام الاختبار. ذلك أنّ العقول البشريّة لها في إدراك الأشياء طريق معيّن تسلكه، وحدٌّ محدود تقف عنده ولا تتجاوزه. فكلّ شيء لم يقع تحت الحسّ الظاهر أو الباطن مباشرة، ولم يكن مركوزًا في غريزة النفس، إنّما يكون إدراك العقول إيّاه عن طريق مقدّمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول»(1).

إنّ المعنى لا يتحوّل من لفظ معجميّ مجرّد محدّد إلى تأويل أوسع إلاّ بشغل اللفظ في بنية تركيبيّة، وربط هذه البنية مع غيرها في سياق، والسياق مع سياقات أخرى؛ لتسهم كلّها في إحداث تحوّل خطِر في شكل اللغة وطاقاتها الإيحائيّة، وصولاً إلى التعبير عن المكنونات الثاوية للدلالات؛ لأنّ السياق المعجميّ هو: «تلك العلاقات

البنيويّة الأفقيّة التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجميّة دلاليّة، لا بوصفها وحدات نحويّة أو أقسامًا كلاميّة عامّة»[٢].

من هنا يمكن التركيز على أنّ أيّ اختلال في التوازن القائم بين الألفاظ والتراكيب؛ يؤدّي إلى خلل في القصديّة والدلالة، ويؤدّي إلى اضطراب في نظمها وقوانينها، فضلاً عن أنّ الأصوات المؤلِّفة لها تستمدّ من التنامي المستمرّ للدلالات آفاقها وأعماقها؛ وكلّ كلمة بمكوّناتها من أصوات مناسبة لصورتها الذهنيّة يُتخيَّر لها ما يناسبها؛ فإن كان السياق في مقام الهدوء والسكينة واستمالة النفس جاءت الأصوات مهموسة مأنوسة رقيقة؛ ليس فيها ما يؤذي الأذن ولا يجرح النفس، وإن كان السياق في مقام الرهبة والرعب والإزعاج وما شاكل جاءت الأصوات شديدة انفجاريّة مجهورة؛ لتأنس النفس أو تُزعج؛ فعند ذاك يُكوَّن تناسب البنية الخاصّ بالنصّ.

ويبدأ هذا التكوّن من نقطة كنقطة مركز الدائرة؛ حين يلتقي فيها المعنى مع الصوت بتساوٍ، عن طريق أنصاف أقطار الدائرة المتساوية، منها وإليها؛ إذ يجري التناغم والتماهي بينهما. وباكتساب التناغم والتماهي فعلهما المؤثر في الأذن؛ تندفع سطوة المعنى نحو النفس؛ لتقدّم لها مستويات دلاليّة جديدة حُبالى بوجوه جديدة، واحتمالات كثيرة، وصور متعدّدة؛ تتطوّر، وتتعقّد، وتتعمّق؛ حين تحدث ولادة جديدة للقراءة على حَسَب تولّد الدلالة؛ وكلّ ذلك يحقق التماسك النصّيّ الذي لا يمكن فكّ عراه.

وللإعراب أثر يجعل المعاني تنماز بعضها من بعض، ويُجلي أغراض المتكلِّمينَ[٣]، ومن هنا كان لا بدّ من مراعاة المعنى في فهم حقيقة المراد من التّركيب، أو الجملة، أو العبارة، أو المفردة؛ قبل إعرابه، فإنّه فرع المعنى[٤]، ويقول ابن هشام معبّرًا عن

ذلك بدقّة متناهية: «وها أنا موردٌ بعون الله أمثلةً متى بُنِيَ فيها على ظاهر اللّفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد، وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهمٌ بهذا السّبب،... فأحدها قوله تعالى: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود ٨٧]، فإنّه يتبادر إلى الذّهن عطف «أنْ نفعلَ»، على «أنْ نتركَ»، وذلك باطلٌ؛ لأنّه لم يأمرْهم أنْ يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنّما هو عطفٌ على «ما»، فهو مفعولٌ للترك، والمعنى «أنْ نترك أنْ نفعل...»، وموجب الوهم المذكور أنَّ المعربَ يرى «أنْ» والفعل مرّتين، وبينهما حرف العطف»[٥]، وقد ذكر ابن هشام أنّه من الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، أنْ يراعيَ ما يقتضيه ظاهرُ الصّناعة، ولا يراعي المعنى، إذ كثيرًا ما تزلُّ الأقدام بسبب ذلك[٦]؛ وذلك لأنَّ الخطأ والتّحريف في الحركات، كالخطأ والفساد في المتحرّكات، كما يقرّر السّيرافيّ[٧].

ويذهب العلويّ إلى أنَّ المعاني التي تدلُّ عليها الحركات الإعرابيّة هي معانٍ مطلقة؛ فالنّظرُ في علم الإعراب، إنّما هو نظرٌ في حصول مطلق المعنى، وكيفيّة اقتباسه من اللّفظ المركّب فلا بدَّ من الإحاطة بصحّة التّركيب، ليأمن الخلط في تأدية المعاني وتحصيلها[٨]؛ بمعنى أنَّه في البَدء يحدّد الإعرابُ المعانيَ التي يؤدّيها التّركيب بعيدًا عن أيِّ غرضٍ جزئيٍّ، ثمّ يفهم الفاعليّة والمفعوليّة والإضافة؛ إذ إنَّ هذه المعاني الثّلاثة تنحصر فيها كلُّ المعاني، ومنها تؤخذ الدّلالات جميعًا، ويؤسّس على ذلك أنّ معرفتها مقدّمة على غيرها؛ ومن هنا كان الاعتماد على العلامة الإعرابيّة، على أنّها كبرى الدّوالّ على المعنى، لذا لزمتنا دراستها، والبحث عمّا تشيرُ إليه كلُّ علامةٍ منها، والعلمُ بأنَّ هذه الحركاتِ تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة، وصلتها بما معها من الكلمات.

وقد أدرك بعضُ اللّغويّين المحدثين بعض هذا، يقول ريمون طحّان: «ولئن ألفينا الآن الاعتمادَ على مواقع الكلمات في اللّغة العربيّة، وأخذنا نقوم أحيانًا دون العودة إلى الحركة، بالقرائن الخلاّقة التي تنقل إلينا بسرعة ما يمكن أنْ يولّده النّصّ من أرجاع ذهنيّة، تساعدنا على فهم ما نقرأ فهمًا صحيحًا وعلى نقده وتحليله، فإنّنا لا نزال نستأنس بالحركة، عندما يغلق المعنى علينا ويحدث اللّبس»[٩].

لذا جاء الهدف من هذا البحث تبيانًا لكيفيّةِ استعمال هذه اللغةِ لتحقيق أهداف النصّ القرآنيِّ وغاياته، بدراسةٍ تربطُ النِّظامَ النَّحْويَّ واللغويّ بالطريقة التي وُظِّفَ فيها هذا النظامُ لأداء المعاني، في ضوء إبراز العلاقة بين الإعراب واللفظ والمعنى والتركيب؛ إذ كلّما نظرنا إلى هذه القضايا مجتمعة من دون فصل بينهما تعدّدت المعاني والدلالات؛ لأنّ الدراسات الأولى؛ ككتاب سيبويه وكتب معاني القرآن؛ إنّما نشأت لفهم القرآن الكريم بعموم نصّه، والبحث عن كلّ ما يفيد في استنطاق نصوصه، على أنّه (لا تنقضي عجائبه). ووسمنا هذا البحث بـ (مادّة (ح،ج،ر) في السياق والتركيب)؛ ليكون إجراءًا تنفيذيًّا، ومصداقًا لما قدّمنا.

(ح،ج،ر) لغةً

لابدّ ابتداءً من معرفة المعطى المعجميّ لأصل المادّة في اللغة؛ وذلك أنّ هناك وَثاقة صلة، وقيام ربط بين دلالة المفهوم الاصطلاحيّ، ودلالة المعطى اللغويّ للمفردة التي توظّف حين تُتّخَذ مفتاحًا مضمونيًّا، أو دالاًّ معنويًّا؛ يتفق عليه أرباب علم ما من أجل أن يتداولوا به عرفًا من دون الوقوع في حيّز الغلط، أو ميدان اللبس والاشتراك الفهميّ؛ لذا أرى ممّا يجب عليَّ؛ أن أعرض لمعنى مادّة (ح،ج،ر) لغويًّا، ثمّ تحليلها في السياقات التي وردت فيها لمعرفة مدلولات النصّ.

فالأصل في هذه المادّة (الحَجَر)؛ أي: الصخرة؛ والجمع أحجار، وحِجار، وحِجارة. والحجَر الأسود: حجَر البيت الحرام، وأرض حَجِرة وحجيرة، ومتحجّرة، كثيرة الحجارة، والحجْر والتحجير: أن يُجعل حول المكان حجارة، واستحجر الطين: صار حجرًا، والحجران: الذهب والفضة؛ يقال للرجل إذا كثر ماله وعدده: قد انتشرت حَجْرته. كما يطلق على الياقوت حجر، إلاّ أنّه حجر كريم(١٠). والحُجرة من البيوت: الغرفة؛ لأنّها تُتخذ من الحجارة؛ والجمع: حُجْرات وحُجُرات، وحُجَرات وحُجَر. يقال: احتجرتُ حُجْرةً، والحِجار: حائط الحُجْرة(١١). والحِجْر: حِجْر الكعبة، كأنّه حجرة ممّا يلي المثعب من البيت، وكلّ ما حجرته من حائط فهو حِجْر.(١٢) والمحجر: ما حول القرية؛ لأنّه يتخذ من الحجر، ومنه محجر القَيل: حوزته وناحيته التي لا يدخل فيها غيره(١٣). والحاجر: الجدْر الذي يمسك الماء بين الديار، ومن شفة الوادي ويحيط به، وهو الحاجور أيضًا؛ لأنّه من الحجر، وأُطلق على كلّ ما يمسك الماء من منبت الرِّمَث والعشب، ومجتمعه ومستداره توسّعًا، والجمع حُجْران(١٤). والمَحجِر: الحديقة؛ لأنّها تُحاط بحجر؛ والجمع محاجر، ومحجِر العين: ما دار بها وبدا من البُرقع من جميع العين، ثمّ أُطلق على العين نفسها على التوسّع(١٥). والتحجير: أن يسِم حول عين البعير بميسم مستدير؛ تشبيهًا بالمحجَر؛ يقال: حجّر عين الدابّة وحولها؛ أي: حلّق لداء يصيبها(١٦). كما شُبّه تحجير القمر بوسم عين البعير أيضًا. يقال: حجّر القمر؛ أي: استدار بخطّ دقيق من غير أن يغلظ. والحَجُّورة: لُعبة يلعب بها الصبيان؛ يخطّون خطًّا مستديرًا، ويقف فيه صبيّ يحيط به الصبيان ليأخذوه(١٧). وحَجْر الإنسان وحِجْره: حضنه؛ كناية عن حصانته ومنعته؛ كأنّه أُحيط بحجر؛ والجمع: حُجُور، يقال: نشأ فلان في حَجْر فلان وحِجْره؛ أي: حفظه وستره، وهم في حِجْر فلان: في كنفه ومنعته ومنْعه، ويقال للنخلة: إنّها لواسعة الحِجْر، إذا كانت كبيرة العذوق، نبيلة الجذوع(١٨). والحِجْر: الفرس الأنثى؛ لأنّها حُجِرت عن الذكور

إلاّ عن فحل كريم؛ والجمع: أحجار وحجور وحجورة، وأحجار الخيل: ما يتخذ منها للنسل. يقال: هذه حِجْر من أحجار الخيل[١٩]. والحَجْرة: الناحية؛ تشبيهًا بالحُجرة؛ والجمع حَجْر وحَجَرات؛ يقال: قعد حَجْرًا وحَجْرةً؛ أي: ناحية، ومن أمثالهم: «فلان يرعى وسطًا ويربض حَجْرةً» يضرب للرجل يكون وسط القوم إذا كانوا في خير، وإذا صاروا إلى شرّ تركهم وربض ناحية[٢٠]. والحِجْر: العقل واللبّ؛ لأنّه يحجُر صاحبه عن القبيح. ثمّ أُطلق الحَجْر والحِجْر على كلّ ما يحجُر ويمنع. يقال: حجَر عليه يحجُر حَجْرًا وحِجْرًا وحُجُورًا وحُجْرانًا وحِجْرانًا؛ أي: منع منه، وحَجَر عليه القاضي يحجُر حَجْرًا: منعه من التصرّف في ماله، ولا حُجْر عنه: لا دفع ولا منع[٢١]. والحَجْر والحِجْر والحُجْر والمَحجِر: الحرام؛ لأنّه مُنع أيضًا؛ إذ يُنهى عنه. يقال: حجره وحجّره؛ أي: ضيّقه، وتحجّر على ما وسّعه الله: حرّمه وضيّقه. والحاجور: كالمحجَر؛ يقال: أنا منك بحاجور؛ أي: محرّم عليك قتلي. والحَنجرة والحُنجور: الحُلقوم[٢٢]، وأجمع اللغويّون قاطبة على أنّ وزنهما(فَنعلة) و(فُنعُول) من(ح،ج،ر)، ولكنّهم لم يذكروا وجه تسميتهما. والحِجْر: ديار ثمود عند وادي القرى من الجزيرة العربيّة. وهي بيوت مثل بيوت في أضعاف جبال؛ وتسمّى تلك الجبال: الأثالث. جاء في(دائرة المعارف الإسلاميّة): ((يُطلِق البدو في الوقت الحالي اسم(الحِجْر) على وادٍ مستوٍ بين مبرك الناقة(مزحم)، وبير الغنم؛ وهو يمتدّ عدّة أميال، وأرضه خصبة، وفيها كثير من الآبار، يضرب عندها كثير من البدو خيامهم وقطعانهم»[٢٣].

ورود الآيات في القرآن الكريم

جاءت هذه المادّة في القرآن الكريم اسم مصدر أربع مرّات، واسم مفعول مرّتين، وعلمًا مرّة، واسم جنس مفردًا وجمعًا أربع عشرة مرّة؛ في خمسة معانٍ،

وثماني عشرة آية: (حِجر ومحجور)، (الحِجْر)، (حجور)، (الحجرات)، (الحجر والحجارة) ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر ٥]، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان ٢٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]، ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود:٨٢]، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]، ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

أولا: حِجر بمعنى المنع

حِجْر بمعنى المنع، وفيه أربع آيات (١-٤)؛ وكلّها مكّيّة:

- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾؛ قال ابن عبّاس[٢٤]، والإمام الباقر عليه السلام[٢٥]، ومجاهد[٢٦]، وأبو عبيدة[٢٧]، والقمّي[٢٨]، وأبو حيّان[٢٩]، والسمين الحلبيّ[٣٠]، والطباطبائيّ[٣١]: لذي عقل. وقال الحسن[٣٢] معناه: لذي حلم، وقال ابن كعب القرظيّ[٣٣]: لذي دين، وقال قتادة[٣٤]: لذي حِجًى. وقال الفرّاء[٣٥]: لذي عقل، لذي سِتر؛ وكلّه يرجع إلى أمر واحد من العقل، والعرب تقول: إنّه لذو حِجر إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها؛ كأنّه أخذ من قولك: حجرت على الرجل. وقال الطبريّ[٣٦]: فإنّه لذي حِجىً وذي عقل؛ يقال للرجل إذا كان مالكًا نفسه قاهرًا لها ضابطًا: إنّه لذو حَجَر؛ ومنه قولهم: حَجَر الحاكم على فلان. وقال الزجّاج[٣٧]: أي لذي عقل ولُبّ. وذكر الماورديّ[٣٨] أنّ الحَجْر: المنع؛ ومنه اشتقّ اسم الحَجَر لامتناعه بصلابته؛ ولذلك سُمّيت الحُجرة لامتناع ما فيها بها، ومنه سُمّي حَجْر المولّى عليه لما فيه من منعه عن التصرّف. وذكر الطوسيّ[٣٩] أنّ الحِجْر: العقل لأنّه يعقل عن المقبّحات، ويزجر عن فعلها، يقال: حَجَرَ يحجُر حجْرًا، إذا منع من الشيء بالتضييق، ومنه حِجْر الرجل يحجر على ما فيه، ومنه الحَجَر لامتناعه بصلابته. وذكر الزمخشريّ[٤٠] أنّ الحِجْر: العقل؛ لأنّه يحجُر عن التهافت فيما لا ينبغي، كما سمّي عقلاً ونُهية؛ لأنّه يعقل وينهى، وحصاة من الإحصاء؛ وهو الضبط. وذكر ابن كثير[٤١] وإنّما سُمّي العقل: حِجْرًا لأنّه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه: حِجْر البيت لأنّه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشاميّ، ومنه حِجْر اليمامة، وحَجَر الحاكم على فلان، إذا منعه من التصرّف. وبذا

تتبيّن لنا مرادفات (حجر)؛ وهي: (المنع، والعقل، واللبّ، والحلم، والدين، والحجى، والستر)؛ وحين يسمع الإنسان هذه الآية تخطر في ذهنه هذه المعاني؛ فيقع في نفسه أن يمتنع عن الوقوع في ما لا ينبغي؛ فضلاً على أنّ هذه اللفظة جاءت في سياق القسم؛ وقد جاء القرآن الكريم على عادة العرب في القسم؛ فأقسم الله بالفجر الذي هو أوّل وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق؛ كما أقسم بالصبح لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق؛ وذلك مشابه لنشور الموتى، وفيه عبرة عظيمة لمن تأمّل. وقال مقاتل(٤٢): (هل) هنا في موضع إنّ؛ تقديره: إنّ في ذلك قسماً لذي حجر؛ فـ (هل) على هذا في موضع جواب القسم. وهذا الرأي هو ما أرجّحه؛ فإنّ الإنسان بعدما يتأمّل في طلوع الفجر، وتنقدح في ذهنه صور الحياة، ونشور الموتى؛ تأتي هذه الجملة لتفسّر له لِمَ أقسم بالفجر؛ فيقوى فؤاده ثباتًا. وقيل: هي على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير؛ كقولك: ألم أُنعم عليك؟ إذا كنت قد أنعمت(٤٣). ولا أميل إلى هذا الرأي؛ لأنّ الله المتفضل المنعم على خلقه لا يعيّرهم بمنّه وفضله؛ إذ إنّ الله لا يريد أن يُقرّ الناس على أنّه خلق لهم الفجر وغيره من المخلوقات؛ فهذه أمور قارّة في نفوس الناس جميعًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، وغيرها من الآيات. وقيل: المراد بذلك التأكيد لما أقسم به وأقسم عليه؛ والمعنى: بل في ذلك مَقنع لذي حِجْر؛ والجواب على هذا:(إنّ ربّك لبالمرصاد)، أو: مضمر محذوف(٤٤). وقد يقول قائل إنّه جاء هنا(لذي حجر) اتفاقًا لرؤوس الآي؛ فقبلها:(الفجر،

عشر، الوتر، يسرِ)؛ ولم يقل: (لذي عقل) وأقول: ليس ذلك بصحيح؛ وذلك للأسباب الآتية:

أ. أنّ لفظة (حجر) من لهجة قريش؛ لأنّ هذه الآية وما قبلها من الآيات كلّها مكّيّة؛ فينقدح في الذهن أنّ(حِجْرًا) بمعنى المنع لغة مكّيّة؛ إذ لم يأتِ في المدنيّات بهذا المعنى؛ لذا جاءت تخاطبهم بلغتهم(٤٥).

ب. أنّ الإتيان بلفظة(حجر) تجعل المعاني التي ذكرناها آنفًا تتالى على الذهن؛ في حين لفظة (العقل) لو جاءت في النصّ لَبَدَرَ إلى الذهن معنى الربط والإحكام فقط.

ج. استعمال العرب لصيغة (إنّه لذو حجر) في كلامها لمن يقهر نفسه ويضبطها؛ فجاء القرآن موافقًا لكلام العرب. وجاء مكان(حجر) في القرآن(أولوا الألباب) ست عشرة مرّة، وأفعال من(عقل):(تعقلون) أربعًا وعشرين مرّة، و(يعقلون) اثنتين وعشرين مرّة، و(يعقلها)، و(عقلوه)، و(نعقل)؛ لكلٍّ مرّة واحدة.

• ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ جاء في الآيتين الثانية والثالثة (حجرًا محجورًا) المصدر واسم المفعول مرّتين في سورة واحدة:(الفرقان) مع تفاوت بينهما: وهو أنّه في الآية الثالثة جاء وصفًا للبحر على أنّه آية من آيات الله في هذا العالم: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ فذكر البحرين؛ العذب والملح، وأنّه جعل بينهما برزخًا وحِجرًا محجورًا؛ فـ (حِجْرًا) عطف على (برزخًا) بيانًا له؛ أي: إنّ البرزخ حاجز بين البحرين يمنع من اختلاطهما، و(محجورًا) صفة (حجر) تأكيدًا له؛ مثل: (ذيل ذائل، والذيل:الهوان، وشعر شاعر، وموت مائت).

ونصبه على معنى: حجرت عليك، أو حجر الله عليك؛ كما تقول: سقيًا ورعيًا. قال سيبويه في باب من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره: «... ومثل هذا قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حرامًا محرّمًا، يريد به البراءة من الأمر، ويبعّد عن نفسه أمرًا؛ فكأنّه قال: أحرّم ذلك حرامًا محرّمًا. ومثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حِجْرًا؛ أي: سترًا وبراءة من هذا؛ فهذا ينتصب على إضمار الفعل، ولم يُرد أن يجعله مبتدأ خبره بعده، ولا مبنيًّا على اسم مضمر»[٤٦]. وقال الزمخشريّ: «وهي من حَجَره إذا منعه؛ لأنّ المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه؛ فكأنّ المعنى: أسألُ الله أن يمنع ذلك منعًا ويحجره حجْرًا، ومجيؤه على (فِعل)، أو (فَعل) في قراءة الحسن تصرّف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك... فإن قلت: فإذا قد ثبت أنّه من باب المصادر؛ فما معنى وصفه بـ (محجورًا)؟ قلت: جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى (الحجر) كما قالوا: ذيل ذائل، والذيل: الهوان، وموت مائت»[٤٧]. وقرئ (حُجْرًا)[٤٨] بالضمّ؛ وأصله الفتح غير أنّه لمّا اختصّ بموضع مخصوص غُيِّر كقَدُّك وعَمرك؛ ولذلك لا يتصرّف فيه ولا يظهر ناصبه[٤٩]. وجاء في الآية الثانية حكاية عن حال الكفار في الآخرة؛ وقبلها: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]؛ وهناك أقوال أخرى نبيّنها بالآتي: قال قتادة[٥٠]: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ مأخوذ من قول العرب إذا نزلت بهم شدّة، ورأوا ما يكرهون. أو عند لقاء عدوّ موتور وهجوم نازلة هائلة؛ ثمّ تُرك قولهم: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ تأسّفًا ممّا نزل بهم؛ كأنّه انسدّ عليهم الأبواب. وهذا كان عندهم لمعنيين؛ أحدهما: أن يقال عند الحرمان إذا سُئل الإنسان؛ فقال ذلك، علِمَ السائل أنّه يريد أن يُحرمه، والمعنى الآخر:

يضعونها موضع الاستعاذة؛ حيث يطلبون من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقهم؛ كان الإنسان إذا سافر فرأى ما يخاف؛ قال: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حرام عليك التعرّض لي[٥١]. ولا يكون الكلام نفسه في الآية الثالثة؛ إذ ليس فيه إعلان بحرمان، ولا استعاذة؛ ولكنّ الزمخشريّ ذكره في الآية الثالثة أيضًا؛ وقال: «وهي ها هنا واقعة على سبيل المجاز؛ كأنّ كلّ واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه، ويقول له: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ كما قال: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠]؛ أي: لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة؛ فانتفاء البغي ثمّة كالتعوّذ ها هنا، جعل كلّ واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوّذ منه؛ وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة»[٥٢]. وأرى أنّ رأي الزمخشريّ غريب؛ لأنّه بعيد عن سياق الآيات. اختلفوا في الآية الثانية مَن يقول: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أ هم الملائكة أم المجرمون؟؛ وكلاهما مذكوران في الآية؟؛ قال ابن عبّاس، ومجاهد[٥٣]: يقول الكفار عند رؤية الملائكة: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ بُعدًا بعيدًا، بيننا وبينكم. وقال عكرمة[٥٤]: منعنا أن نصل إلى شيء من الخير. **فعلى القول الأوّل**: يقول الملائكة للمجرمين تشديدًا في الحرمان والعذاب: فإنّ الكفار إذا خرجوا من قبورهم؛ قالت الحفظة لهم ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: البشرى حرام محرّم عليكم الغفران والجنّة والبشرى؛ أي: جعل الله ذلك حرامًا؛ وهذا ردّ على الذين قالوا في الآية السابقة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١]، بأنّكم ستلاقون الملائكة وهم يبشرونكم بالعذاب. قال الكلبيّ: «الملائكة على أبواب الجنّة يبشرون المؤمنين بالجنّة، ويقولون للمشركين: حِجْرًا محجورًا»[٥٥]. **القول الثاني**: إنّهم هم الكفار؛ وذلك لأنّهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، ثمّ إذا رأوهم عند الموت ويوم القيامة كرهوا لقاءهم

وفزعوا منهم؛ لأنّهم لا يلقونهم إلاّ بما يكرهون؛ فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدوّ ونزول الشدّة. قال أبو السعود: «إنّهم يطلبون نزول الملائكة عليهم ويقترحونه، وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشدّ كراهة وفزعوا منهم فزعًا شديدًا، وقالوا: ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع»، وقد أنكر الوجه الأوّل، وقال: «وقيل: يقولها الملائكة إقناطًا للكفرة. بمعنى حرامًا محرّمًا عليكم الغفران أو الجنّة أو البشرى؛ أي: جعل الله تعالى ذلك حرامًا عليكم، ليس بواضح»(٥٦). **القول الثالث**: وهو قول الحسن البصريّ(٥٧): إنّ الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا ما يخافونه فيتعوّذون منه ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ فتقول الملائكة: لا يعاذ من شرّ هذا اليوم؛ أي: إنّ (حِجْرًا) من قول المجرمين، و(محجورًا) من قول الملائكة؛ أي: قالوا للملائكة: نعوذ بالله منكم أن تتعرّضوا لنا؛ فتقول الملائكة: (محجورًا) أن تعاذوا من شرّ هذا اليوم؛ أي: إنّه وعند الحسن البصريّ أنّ الضمير في (يقولون) يرجع إلى الفريقين؛ لكن مقولهم مختلف. وقد رجّح الطبريّ الأوّل بقوله: «اختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ومن قائلوه؟ فقال بعضهم: قائلو ذلك الملائكة للمجرمين... وقال آخرون: ذلك خير من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة... وإنّما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، من أجل أنّ (الحِجْر) هو الحرام؛ فمعلوم أنّ الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أنّ البشرى عليهم حرام. وأمّا الاستعاذة فإنّها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أنّ الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم؛ فيوجّه الكلام إلى أنّ ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة»(٥٨). ولكن هذا لا يوافق ما قالوا في: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ عند العرب فيستدعي فصلها عنه؛ مع اعتراف الجميع بأنّه مأخوذ منه. وأرى أنّ سياق الآيتين يناسب الثاني؛ لأنّ الضمائر فيهما

وكذا بعدهما ترجِع إلى: ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، في صدر الآية الأولى؛ وتتمتها ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ٢٢]؛ و(المجرمون) هم المستكبرون، وجاء بدل الضمير الاسم الظاهر علّة للحكم؛ فكأنّه قال: يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ لهم ويقولون: حجرًا محجورًا؛ مع أنّ(المجرمين) أقرب إلى (يقولون) من الملائكة؛ فرجوع الضمير إليهم أظهر. فضلاً على ما سبق من مناسبته لما أثر من العرب في قولهم: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ دون الأوّل. اختار القشيريّ رجوع الضمير إلى الملائكة، و(البشرى) إلى رؤية الله؛ يقول: «أي: حرامًا ممنوعًا؛ يعني رؤية الله عنهم؛ فهذا يعود إلى ما جرى ذكره، وحمله على ذلك أولى من حمله على الجنّة، ولم يجرِ لها هنا ذكر»[٥٩]. وأرى أنّ هذا أيضًا بعيد عن السياق؛ لأنّ الجنّة مطلوب الناس عامّة، والرؤية خاصّة بالمخلصين؛ وهم قلّة. قد عرفنا أنّ (حجرًا) مصدر بمعنى حرام، و(محجورًا) محرّم؛ وانفرد المصطفويّ بقوله: «الحجر: صفة كالملح بمعنى الحافظ المانع؛ أي: ما يكون حافظًا لعوائده وخيراته، ومانعًا عن مضارّه وجاعله محدودًا محفوظًا. والمحجور هو المحفوظ المحدود. والتقدير في الآيتين: كن ممنوعًا محدودًا وحافظًا محفوظًا؛ لا يصل منك ضرر وشرّ إلينا، أو اجعل بيننا وبينه حجرًا محجورًا، كما في الآية الثانية، والآية: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١]؛ فإنّ (الحجز) كما يأتي قريب من معنى (الحجر)»[٦٠]. وأرى أنّ هذا القول غير مقبول؛ لأنّه مخالف لإجماع اللغويّين والمفسّرين. كلّ من حكى قول العرب في: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ قال: إنّهم كانوا يقولونه عند لقاء العدوّ تعوّذًا منه أو من الله، وخصّه مجمع اللغة: «بأنّ الرجل في الجاهليّة يلقى الرجل في الشهر الحرام؛ فيقول: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ أي:

حرامًا محرّمًا في هذا الشهر فلا يبدأ منه شرّ»[٦١]، وهذا قريب ممّا قاله البروسويّ: «إنّ قريشًا كانوا إذا استقبلهم أحد يقولون: (حاجورًا حاجورًا) حتى يعرف أنّهم من الحرم فيكفّ عنهم؛ فأخبر تعالى أنّهم يقولون ذلك يوم القيامة فلا ينفعهم»[٦٢]. (حجرًا) من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة من لفظها؛ مثل: (سقيًا ورعيًا وشكرًا وتحيّةً)؛ أي: حجرت عليك، أو حجر الله عليك، أو حُجِر عليك حجرًا، وعليه فهو مفعول مطلق، وليس مفعولاً به، أو مفعولاً من أجله، ومنصوب بفعل مقدّر، دون (يقولون)، وإن كان مقولاً له. وهناك قضيّة أخرى؛ وهي صوتيّة؛ إذ إنّ الصوت البارز في الآية الثالثة هو صوت الجيم، وهو صوت شديد؛ أي: انفجاريّ[٦٣]، من أصوات (أجدت طبقك)؛ وأرى أنّ وروده ست مرّات في الكلمات (مَرَجَ) و(أُجَاجٌ) و(جَعَلَ) و﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ إنّما ورد لغاية معيّنة؛ وهي محاكاة للحَجْر (المنع)، بين الماء العذب والماء الأجاج؛ إذ جعل بينهما حاجزًا (برزخًا)؛ فلا بدّ من الإتيان بصوت شديد، بارز في سياق الآية كلّها؛ يدلّ على المنع والتشديد والتضييق؛ وهناك ملحوظة أخرى هو أنّ الآية وردت في سورة سُمّيت بـ(الفرقان) سياقها العامّ يفرق بين الحقّ والباطل. والله العالم. وأمّا الآية الرابعة؛ فهي: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾، وفيها: أنّها حكاية عن المشركين ممّا حرّموه من عند أنفسهم؛ افتراءً على الله من الأنعام والحرْث وغيرهما، والحِجر صفة لها؛ أي: حرام. قال الطبرسيّ: «قرئ في الشواذّ (حِرْج)[٦٤]،... واحتجّ عليه بقوله: (الحرج) يمكن أن يؤول معناه إلى الحجر؛ فإنّهما يرجعان في الأصل إلى معنى الضيق؛ فإنّ الحرام سُمّي حِجرًا لضيقه، والحرج أيضًا الضيق، فعلى هذا يكون لغةً في حجر؛ مثل جذب وجبذ، فهو من المقلوب»[٦٥].

ثانياً: بمعنى اسم بلد

ورد (الحجر): علماً، مرّة واحدة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ فقد ذكر ابن عبّاس أنّهم قوم صالحع[٦٦]، واسم بلدهم (حِجر)؛ وهو الوادي الذي كان يسكنه هؤلاء، وهم ثمود[٦٧]. وقيل: إنّ الحجر أرض بين الحجاز والشام[٦٨]؛ وهو المعروف بوادي القرى، وذكر الطوسيّ أنّه: «إخبار منه تعالى أنّ أصحاب الحجر، وهي مدينة... وسمّوا أصحاب الحجر لأنّهم كانوا سكّانه، كما تقول: أصحاب الصحراء»[٦٩]، وبيّن البروسويّ أنّ: «الحِجْر بكسر الحاء: اسم لأرض ثمود قوم صالح عليه السلام بين المدينة والشام، عند وادي القرى كانوا يسكنونها وكانوا عربًا، وكان صالح عليه السلام من أفضلهم نسبًا، فبعثه الله إليهم رسولاً وهو شابٌّ، فدعاهم حتى شمط، ولم يتبعه إلاّ قليل مستضعفون»[٧٠]؛ ولفظه مأخوذ إمّا من الحجْر بمعنى المنع؛ أي: المكان المحجور الممنوع من الناس لاختصاصه بأهله، أو من الحجارة؛ لأنّهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبال؛ وقد جُعلت طبقات، وفي وسطها بئر عظيمة وبئار كبيرة، وهذا المكان هو غير (الحَجَر) بفتحتين؛ مدينة بني حنيفة من بلاد نجد؛ يقال له: حَجَر اليمامة؛ وهي قصبة اليمامة، ويسمّى اليوم (العروض) وهو اليوم من بلاد البحرين؛ يقول ابن عاشور: «جُمعت قصص هؤلاء الأمم الثلاث: قوم لوط، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر في نسق، لتماثل حال العذاب الذي سُلّط عليها؛ وهو: عذاب الصيحة، والرجفة، والصاعقة.

وأصحاب الحِجْر هم ثمود كانوا ينزلون الحجْر بكسر الحاء وسكون الجيم والحجْر: المكان المحجور؛ أي: الممنوع من الناس بسبب اختصاص به، أو اُشتقّ من الحجارة؛ لأنّهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل نحتًا محكمًا. وقد جُعلت طبقات، وفي وسطها بئر عظيمة وبئار كثيرة. والحجر هو المعروف بوادي القرى،

وهو بين المدينة والشام، وهو المعروف اليوم باسم مدائن صالح، على الطريق من خيبر إلى تبوك. وأمّا حَجَر اليمامة مدينة بني حنيفة فهي بفتح الحاء، وهي في بلاد نجد، وتسمّى العَروض، وهي اليوم من بلاد البحرين»[٧١].

وقد لحظت على أقوال المفسّرين أنّهم لم يتطرّقوا إلى الجانب اللغويّ فيها سوى ما ذكروا أنّ لفظ (الحجر) مأخوذ من المنع، أو من الحجارة؛ ورأيت أنّ الآية الكريمة بدأت بلامٍ موطئة لقسم محذوف؛ وهي اللام في (لقد) واقترنت بحرف التحقيق (قد)؛ لتكون مدخلاً للتوكيد وتقوية الجملة، ثمّ جاء الفعل بعدها بصيغة (فعّل) التي تفيد المبالغة والتكثير، وبعدها جاء الفاعل بصيغة جمع من جموع التكسير الدالة على الكثرة؛ إذ لم يقل النصّ إنّهم صحِاب ولا صحابة، ولا صحب؛ وهذه جموع ولكنّها أقلّ نوعًا ما؛ تقول باكزة رفيق حلمي: «هناك ضرب آخر من الجمع يصحّ في أوزانه وأبنيته جمع كلّ أنواع الاسم بأوزانه المختلفة ومعانيه المتباينة»[٧٢]. ثمّ أضيف هذا الفاعل وقد التزم رتبته إلى (الحجر) إضافة محضة أفادت تعريفًا؛ لأنّ المضاف إليه معرفة[٧٣]. ولم يقل النصّ مثلاً (قوم صالح)، أو(أهل ثمود)، أو (أُولو المنعة)، وغير ذلك؛ بل قال (أصحاب الحجر)؛ ليدلّ على أنّ هؤلاء وهم ذوو القوّة، سيفارقونها؛ إذ إنّ لفظة (أصحاب) تدلّ على المرافقة قصيرة الزمن؛ ثمّ جاء معموله(المرسلين) بصيغة الجمع؛ ليبيّن أنّهم لو أُرسل إليهم أنبياء عدّة لكذبوهم كما كذبوا صالحًا عليه السلام، وقد ذهب الطباطبائيّ إلى ذلك بقوله: «وعدّهم مكذبين لجميع المرسلين وهم إنّما كذبوا صالحًا المرسل إليهم إنّما هو لكون دعوة الرسل دعوة واحدة، والمكذب لواحد منهم مكذب للجميع»[٧٤].

أذكرُ ذلك كلّه لأقول: إنّ النصّ إنّما جاء بـ (الحِجْر) الدالّ على المنعة والقوّة ليناسب التركيب الذي بُدئ بالتوكيد والتثبيت؛ إذ قصد إلى ذلك قصدًا، ثمّ إنّ الآية

جاءت بين آيتين تدلّان على القوّة والسطوة والهيمنة؛ إذ كلاهما جاء فيهما الضمير (نا) الدالّ على المنتقم؛ وهو الله (جلّ جلاله) في قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، والدالّ على أنّه المعطي والمنّان في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨١]؛ فضلاً على ذلك أنّ الآية جاءت في سورة سُمّيت باسم (الحجر)، وكان المعنى العامّ للسورة يدلّ على المنعة والقوّة.

ثالثاً: بمعنى الحضن والثوب والستر والحماية

ورد اللفظ (حجور) في آية واحدة مدنيّة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]؛ وفيها: هي جمع بفتح الجيم وكسره، وقيل بضمِّها أيضًا؛ جاء في النصوص بمعنى الحِضن، وهو ما دون الإبط إلى الكشح؛ أي: الخاصرة، وما بين يديه من ثوبه؛ وهو في حِجْر فلان؛ أي: في كنفه وحمايته، ونشأ في حجره؛ أي: في حفظه وستره، وفلان في حجر فلان؛ أي: في تربيته؛ فأُطلق الحِجْر وهو المنع على الحضن، وعلى الثوب الذي يستره، وعلى حفظه وتربيته عندهم، والمراد بها بنات الزوجة من غير زوجها؛ فإنّهنّ في حِجْر الرجل[٧٥].

قال الزمخشريّ: «ما فائدة قوله: (في حجوركم)؟ قلت: فائدته التعليل للتحريم وأنّهنّ لاحتضانكم لهنّ أو لكونهنّ بصدد احتضانكم، وفي حكم التقلّب في حجوركم إذا دخلتم بأمّهاتهنّ، وتمكّنَّ بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والأُلفة، وجعل الله بينكم المودّة والرحمة، وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهنّ مجرى أولادكم، كأنّكم في العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم. وعن عليّ رضي الله عنه: أنّه شرط ذلك في التحريم، وبه أخذ داوّد»[٧٦]، وكذلك الأمر لدى ابن عطيّة؛ إذ يقول: «ذكر الأغلب في هذه الأمور؛ إذ هي حالة الربيبة في الأكثر، وهي محرّمة وإن كانت في غير

الحجر؛ لأنّها في حكم أنّها في الحجر، إلاّ ما روي عن عليّ أنّه قال: تحلّ إذا لم تكن في الحجر وإن دخل بالأمّ. إذا كانت بعيدة عنه»[٧٧]. أمّا الطبرسيّ فلا يقول بشرط أن تكون ربيبة في بيت زوج الأمّ، فقد تكون بعيدة عنه، ولكنّها تحرم عليه، وذكر إجماع علماء الإماميّة على ذلك؛ بقوله: «وهو جمع حجر الإنسان، والمعنى في ضمانكم وتربيتكم. ويقال: فلان في حجر فلان؛ أي: في تربيته. ولا خلاف بين العلماء أنّ كونهنّ في حجره ليس بشرطٍ في التحريم، وإنّما ذكر ذلك لأنّ الغالب أنّها تكون كذلك»[٧٨]، وقال الفخر الرازيّ: «أي في تربيتكم، يقال: فلان في حجر فلان، إذا كان في تربيته، والسبب في هذه الاستعارة أنّ كلّ من ربّى طفلاً أجلسه في حجره؛ فصار الحجر عبارة عن الربيبة، كما يقال: فلان في حضانة فلان، وأصله من الحضن الذي هو الإبط»[٧٩].

وهناك أقوال أخرى تنسج على المنوال نفسه؛ إذ استندتْ إلى ما جاء في رواية من روايات العامّة عن الإمام عليّ عليه السلام أنّ الشرط في حرمة الزواج بهنّ هو التربية في بيت زوج الأمّ؛ وأنّ الربائب إذا لم يكنَّ في الحجور فلا يحرمنَ؛ قال البيضاويّ: «قوله: (في حجوركم) تقوية العلّة وتكميلها. والمعنى أنّ الربائب إذا دخلتم بأمّهاتهنّ وهي في احتضانكم، أو بصدده قوِيَ الشبه بينها وبين أولادكم، وصارت أحقّاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة، وإليه ذهب جمهور العلماء. وقد روي عن عليّ رضي الله تعالى عنه: أنّه جعله شرطًا، والأمّهات والربائب يتناولون القريبة والبعيدة»[٨٠]، وقال النسفيّ: «ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط، وفائدته التعليل للتحريم، وأنّهنّ لاحتضانكم لهنّ أو لكونهنّ بصدد احتضانكم كأنّكم في العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتهنّ»[٨١].

وقد فرّع الطبرسيّ على ذلك تحريم بنت الربيبة، وبنت ابنها وبنت بنتها قرُبت أم بعدت؛ لوقوع اسم الربيبة عليهنّ؛ بقوله: «وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها، وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت أم بعدت؛ لوقوع اسم الربيبة عليهنّ»[٨٢]، وقال المحقق الحلّيّ مفصّلاً القول في ذلك، ولكن بشرط الوطء، لا بتجرّد العقد عن الوطء يقول: «فمن وطئ امرأة بالعقد الصحيح أو المِلك، حُرِّم على الواطئ أمُّ الموطوءة وإن علت، وبناتها وإن سفلن، تقدّمت ولادتهنّ أو تأخرت، ولو لم تكن في حِجْره. وعلى الموطوءة أبو الواطئ وإن علا، وأولاده وإن سفلوا، تحريماً مؤبّدًا. ولو تجرّد العقد عن الوطء، حرمت الزوجة على أبيه وولده، ولم تحرم بنت الزوجة، عيناً على الزوج بل جمعًا. ولو فارقها، جاز له نكاح بنتها»[٨٣].

وأقول إنّ الاستناد إلى الدليل اللغويّ والنحويّ أجدى؛ إذ إنّ النظر إلى لفظ (الربيبة) نظرة واحدة ما أُطلق عليها؛ سواء أكانت في بيت زوج الأمّ أم لم تكن؛ بمعنًى واحد، وأنّ النظر إلى الإضافة المحضة التي تفيد التعريف؛ في الضمير (كم) في (رَبَائِبُكُمُ)، و(حُجُورِكُمْ)، و(نِسَائِكُمُ)؛ تُشعر بأنّ هذه الربيبة قريبة إلى النفس حالها حال ولد الزوج أو بنته وليس فرق بينهما، وأنّ إغفال رواية الإمام عليّ المذكورة آنفًا أفضل؛ فقد تكون ضعيفة السند، أو غير صحيحة، حين الفحص والتمحيص. والله العالم.

رابعاً: حُجُرات نساء النبيّ ﷺ

وردت (الحُجُرات) في آية واحدة؛ وهي مدنيّة؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وبعدها ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٥]، والمراد حجرات نساء

النبيّ ﷺ، ذكر الفرّاء في كلامه على لفظ (الحجرات) أنّ «وجه الكلام أن تُضمّ الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجَرات والرُّكَبَات. وكلّ جمع كأن يقال في ثلاثة إلى عشرة: غرَف، وحُجَر؛ فإذا جمعته بالتاء نصبت ثانيه؛ فالرفع أجود من ذلك»(٨٤). وتناول الزجّاج هذا اللفظ، وبيّن أنّ هناك قراءة بفتح جيم الحجرات؛ بقوله: «يُقرأ بضمّ الحاء والجيم، و(الحُجَرات) بفتح الجيم(٨٥)، ويجوز في اللغة الحُجْرات، بتسكين الجيم. ولا أعلم أحدًا قرأ بالتسكين،... وواحد الحُجُرات: حُجْرة. ويجوز أن تكون الحُجُرات جمع حُجَر وحُجَرات، والأجود أن تكون الحُجُرات جمع حجْرة، وأنّ الفتح جاز بدلاً من الضمّة لثقل الضمّتين»(٨٦).

وقال الطوسيّ: «وهي جمع حُجْرة، وكلّ (فُعْلَة) بضمّ الفاء يجمع بالألف والتاء؛ لأنّه ليس بجمع سلامة محضة؛ إذ ما يعقل من الذكر أُلحق به؛ لأنّه أشرف المعنيين، فهو أحقّ بالتفصيل... وقرأ أبو جعفر (الحُجَرات) بفتح الجيم. قال المبرّد: أُبدل من الضمّة الفتحة استثقالاً لتوالي الضمّتين، ومنهم من أسكن مثل عُضُد وعُضْد»(٨٧). وقال البغويّ: «قرأ العامّة بضمّ الجيم، وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجَر، والحُجَر: جمع الحجرة؛ فهي جمع الجمع»(٨٨).

أمّا الزمخشريّ فقد فصّل في القول؛ إذ ذكر المعانيَ الأخرى التي بزنة (فعلة)؛ بقوله: «الحُجْرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يُحوَّط عليها، وحظيرة الإبل تسمّى الحجرة، وهي (فعلة) بمعنى مفعولة كالغرفة والقيضة؛ وجمعها: الحُجُرات بضمّتين، والحُجَرات بفتح الجيم والحُجْرات بتسكينها، وقرئ بهنّ جميعًا. والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكلّ واحدة منهنّ حجرة»(٨٩). وقال الطبرسيّ: «ومن قرأ (الحجَرات) أبدل من الضمّة فتحة استثقالاً لتوالي الضمّتين، ومنهم من أسكن فقال: (الحجْرات)؛ مثل:عُضُد وعُضْد. وقال أبو عبيدة: (حُجُرات) جمع

حُجَر، فهو جمع الجمع»[٩٠]. وأمّا الآلوسيّ فقد كان قريبًا ممّا قاله الزمخشريّ، وقد نبّه على نكتتين، ثمّ أضاف قوله: «وفي جمعها هنا ثلاثة أوجه؛ ضمّ العين إتباعًا للفاء كقراءة الجمهور، وفتحها وبه قرأ أبو جعفر، وشيبة، وتسكينها للتخفيف وبه قرأ ابن أبي عبلة. وهذه الأوجه جائزة في جمع كلّ اسم جامد جاء على هذا الوزن، والمراد حُجُرات نسائه عليه الصلاة والسلام، وكانت تسعة لكلّ منهنّ حجرة...

وفي ذكر (الحُجُرات) كناية عن خلوته ﷺ بنسائه؛ لأنّها معدّة لها، وهذا يوافق ما قال بعضهم في معنى الحجرة: (إنّها البقعة التي يحجرها المرء لنفسه كيلا يشاركه فيها غيره)؛ لأنّها من الحجْر؛ أي: المنع؛ فهي ممنوعة إلاّ لصاحبها، ولمن دخلها بإذنه لعدم إضافتها إليه. ولم يقل: حجرات نسائك ولا حجراتك، توقيرًا له، وتحاشيًا عمّا يوحشه عليه الصلاة والسلام»[٩١].

والمعنى العامّ للآية أنّ الحُجرة مأخوذة من الحَجْر؛ أي: المنع؛ وهي المكان المخصّص لصاحبها الممنوع عن غيره؛ إذ يختلي هو فيها بأهله، ويحفظ موضعه في الناس؛ ففيها نوع حرمة وعورة. ولمّا كان الذين ينادونه من وراء الحجرات يهتكونه بندائه في حَرَمه؛ فكان التعبير عنه بـ (الحجرة) أوقع وأنسب؛ وكأنّ ذلك توبيخ وتحذير وتوجيه لهؤلاء الذين لا يراعون موضعه فيهم، ويهتكونه في حَرَمه وحُرَمه، ولا يحفظون كرامته في شأنه الخاصّ؛ فهذا هتك لحرمته ﷺ.

ثمّ إنّ هذه الآية من جملة آيات صدر سورة الحجرات وبها سمّيت إجلالاً للنبيّ ﷺ وفي هذه الآيات أدب العشرة مع النبيّ ﷺ، ومعاملة الناس تجاهه؛ توقيرًا لمقامه وشرفه. وأقول: فضلاً على أنّ النصّ القرآنيّ جاء بلفظ (الحجرات) غير مضاف؛ إذ لم يقل (حجرات نسائك)، ولا (حجراتك) توقيرًا له، وتحاشيًا عمّا يوحشه بذكر نسائه ﷺ؛ كما قال العلماء. فإنّ اللام التي في (الحجرات) هي للعهد

الذهنيّ؛ إذ إنّ حجراته كانت معهودة كمسجده ومدينته، والإطلاق فيها جميعًا دلّ على مكانته السامية في مجتمع المدينة؛ مثلما كان يطلق لفظ (النبيّ)؛ فينصرف إليه ﷺ؛ فالحجرات من غير إضافة فيها توقير له ﷺ.

وإنّ لفظة (الحجرات) حين وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم؛ فإنّما هي خاصّة به ومحصورة، وليس لها نظير، وهذا توقير آخر له ﷺ. وإنّ لفظ (الحجرات) جاءت وسطًا من الآية الكريمة؛ وكأنّ ذلك يُشعر بأنّ نساء النبيّ ﷺ في كنفٍ لا ينبغي لأحد من الناس أن يدخل إليه. وإنّ إيراد لفظة (الحجرات) في هذه الآية؛ لأنّ الخطاب جاء إلى الذين ينادون النبيّ ﷺ؛ أي: بلحاظ خارجيّ؛ فليس المخاطَب نساء النبيّ ﷺ لأنّهنّ مقصورات في الحجرات؛ بل هم أناس آخرون؛ وفي ذلك توجيه لهم أن يوقروا النبيّ ونساءه ويتأدّبوا معه ومعهنّ؛ ففي اللفظ تذكير بالمنعة والحرمة. والله العالم.

التعبير بالبيوت بدل الحجرات

قد علمنا أنّ النصّ القرآنيّ عبّر عن بيوت النبيّ ﷺ بالحجرات مرّة واحدة، ومن غير إضافة؛ ولكنّه حين جاء بلفظ (بيوت)؛ فإنّه جاء بها مضافة ثلاث مرّات؛ مرّة مضافة إلى النبيّ ﷺ؛ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومرّتين مضافة إلى نسائه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣-٣٤]؛ وذلك أنّ (البيت) في الأصل اللغويّ من البيتوتة؛ أي: موضع النوم والاستراحة ليلاً[٩٢]؛ وهو ألصق بالمنع عن دخول بيوته في ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾، ويقوّيه

ما بعدها ﴿إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرينَ إِناهُ وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسينَ لِحَديثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيي مِنْكُمْ﴾، وكذا في ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؛ فإنّ بيوتهنّ مواضع الاستراحة والاحتفاظ والخلوة، وكانت تُتلى فيها الآيات ليلاً ونهارًا، وهنّ في راحة وخلوة؛ فالتعبير بـ (بيوت) في الآيات الثلاث أنسب بما أُريد منها من الراحة وعدم المضايقة؛ لذا جاء بها ليركز على الخلوة والسكون والراحة. وهناك مسألة أخرى؛ وهي أنّه حين عبّر بالحجرة فإنّما ليطلقها على الغرفة الخاصّة به ﷺ؛ في حين أنّ (البيت) يدلّ على مجموع ما خلف الباب؛ فهذا أوسع مفهومًا من ذاك.

أمّا عن إضافة (البيوت) فليس يعرف منها المقصود إلاّ حين تضاف؛ فعندئذٍ تعرف نسبتها؛ أ هي إلى النبيّ ﷺ، أم إلى نسائه؛ وفي كلتا الحالين أنّه تكريم وتشريف لهنّ؛ إذ إنّ النصّ ينبّه على جملة من فضائلهنّ؛ منها: أنّهنّ لسن كأحد من النساء إن اتقين، وأنّ من تعمل منهنّ صالحًا فأجرها ضعفان، ومن تأتِ بفاحشة فعذابها ضعفان. ثمّ كلّفهنّ بأمور؛ منها: القرار في بيوتهنّ، وألاّ يتبرّجنَ، وأن يذكرن ما يتلى في بيوتهنّ من آيات الله والحكمة؛ لذا ركّز القرآن لفظ (بيوتهنّ) مرّتين؛ منوّهًا بالحفاظ على موقفهنّ فيها؛ حيال النبيّ ﷺ؛ فبيوتهنّ أمان لعفتهنّ، وتذكار لتلاوة الآيات الّتي تلاها جبريل فيها على النبيّ، وتلاها النبيّ عليهنّ وعلى غيرهنّ، وهي مصادر حِكَمه وسنّته المباركة. والله العالم.

خامساً: الحجر والحجارة (حجر موسى، والحجارة للعذاب)

١. **حجر موسى**: ورد الكلام على استسقاء موسى عليه السلام لقومه بعد الخروج من مصرَ مرّتين؛ الأولى في سورة البقرة في قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى

لقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠]، والمرّة الثانية في سورة الأعراف ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٠]؛ وهم في التيه؛ إذ أُمِر موسى عليه السلام بأن يضرب بعصاه الحجر؛ فضرب فانفجر منه الماء لبني إسرائيل الذين خرجوا معه من مصر إلى هذه الصحراء المقفرة الجدباء الخالية من الماء والكلأ؛ من أجل الوصول إلى الأرض المقدّسة الموعودة.

حقيقة الحجر وصفته

اختلف المفسّرون في حجر موسى هذا على فريقين:

الفريق الأوّل: يقول إنّه أيُّ حجر ضربه بعصاه انفجرت منه عيون الماء، وهو قول الحسن البصريّ على ما ذكره أصحاب التفاسير(٩٣)، إذ ذكر أنّه قال: «ما كان إلاّ حجرًا اعترضه و إلاّ عصا أخذها»(٩٤). وتكون بهذا (ال) التعريف للجنس. وتبعًا إلى هذا القول روي أنَّ بني إسرائيل قالوا: «كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست بها حجارة؟ فحمل موسى حجرًا في مخبّأته»، فقالوا مرّة أخرى «إنْ فَقَدَ موسى عصاه متنا عطشًا فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلّمها تطعك»(٩٥).

الفريق الثاني: يقول: إنّه حجرٌ معلومٌ، وتكون (ال) التعريف للعهد تبعًا إلى ذلك(٩٦)، أمّا حقيقته فقد اختلف فيها على أقوال؛ هي:

١. أنّه أنا الله أرفع هذا الحجر فإنَّ لي فيه قدرة ولك فيه معجزة[٩٧].
٢. أنّه الحجر الذي وضع موسى عليه السلام عليه ثوبه حين اغتسل ففرّ بثيابه، فقال جبريل عليه السلام لموسى: بأمر[٩٨].
٣. أنّه حجر أخذه موسى عليه السلام من قعر البحر حينما انفلق لبني إسرائيل[٩٩].
٤. حجر أهبطه آدم معه من الجنّة وهو من مواريث الأنبياء توارثوه حتى وقع إلى النبيّ شعيب عليه السلام فدفعه إلى موسى مع العصا[١٠٠].
٥. أنّه حجر طوريّ أخذه موسى من الطور[١٠١].
٦. أنّه حجر أخذه من جبل زبيد[١٠٢].
٧. أنّه حجر معلوم لم يحمله موسى عليه السلام أو قومه لكنّهم كانوا كلّما نزلوا منزلاً وجدوه[١٠٣].

أمّا صفته فقد قيل فيه أقوال أيضًا؛ هي:

١. قول الإمام الصادق عليه السلام إنّه حِمْل بعير[١٠٤].
٢. قال غيره[١٠٥]:

- أنّه حجر من الرخام وهو ذراع في ذراع فيه اثنتا عشرة حفرة تنبع من كلّ حفرة عين ماء.
- أنّه حجر من الكذان[١٠٦] فيه اثنتا عشرة عينًا.
- أنّه حجر مربّع مثل رأس الرجل له أربعة أوجه ينبع من كلّ وجه ثلاث أعين.
- أنّه مثل رأس الشاة أو الثور.

وقد لحظ المفسّرون التضادّ والاختلاف؛ فحاول بعضهم التأليف بينها بترجيح أن: «يكون الحجر غير معيّن؛ بل أيّ حجر وجده ضربه فوجد مرّة مربعًا، ومرّة

كذانًا ومرّة رخامًا وكذا باقيها...فروى الراوي صفة ذلك الحجر الذي ضربه في تلك المنزلة...فيزول التغاير في الكيفيّات ويحصل التوفيق بين الروايات»(١٠٧).

وأرى أنّ هذا الكلام ليس له دليل يسنده، فهو رأي غايته رفع التضادّ في الأقوال التي قيلت في حقيقة (الحجر) وصفته، وأرجّح أنَّ (ال) التعريف هنا للعهد الذهنيّ، والدليل على ذلك أنّ كلمة الحجر جاءت في الآيتين الكريمتين معرّفة بـ (ال)، دلالة على أنّه حجر معيّن معلوم بعينه، كانوا ينقلونه من مكان إلى آخر حيث نزلوا، أو وجدوه في كلّ منزل من دون أن ينقلوه. وليس أيّ حجر ولو قصد أيّ حجر لجاء في إحدى الآيتين نكرة، وفي قصّة الحجر كانت كلتا الآيتين تذكّران بظلم بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض.

٢. **استسقاء موسى**عليه السلام: جاء في الآيتين حديث استسقاء موسى لهم؛ وهو من (السقي)؛ إذ ينصرف الذهن إلى الشرب؛ لأنّ الشرب كان أهمّ حاجاتهم المائيّة في التيه؛ قال: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، وإن كانت في الماء منافع أخرى. وقد لحظت اختلافات في الآيتين؛ منها:

أ. إلى جانب اشتراك الآيتين في ذكر الاستسقاء لدى موسى، والشرب لديهم؛ فبينهما اختلاف؛ من حيث إنّ في الآية الأولى؛ كانت نسبة الفعل إلى موسىعليه السلام؛ فقد طلب السقي من الله؛ إذ قال فيها: ﴿اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾؛ لأنّه موسى هو من يبدأ بالتفضل، في حين جاء الفعل في الآية الثانية لقوم موسى؛ إذ قال: (اسْتَسْقَيهُ قَوْمُهُ)؛ لأنّ العطش استبدّ بهم؛ فأراد أن يبيّن لهم مقام الرسالة والنبوّة المتمثلتين به؛ فترك لهم طلب فعل الاستسقاء؛ وبطبيعة الحال أنّ الأوّل مقدّم على الثاني زمانًا؛ لذا جاء ترتيبهما؛ إذ الأولى في سورة البقرة؛ والثانية في الأعراف.

ب. خُصّت الثانية بأنّ عمليّة الاستسقاء من الله كانت بإرشاد ووحي منه تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَيهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾؛ إذ لم يكن منهم؛ فإنّهم إنّما طلبوا الماء من موسى، وليس في الآيتين أنّهم سألوا موسى أن يدعوَ الله ليسقيَهم، كما فعلوا في الآية التي بعد الأولى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]؛ إذ لم يخطر ببالهم الاستسقاء بالحجر، ولو طالبوا موسى بالدعاء للماء لسألوه الاستسقاء بالمطر من دون الحجر؛ بل أراد الله تسجيل آياته لهم إعجازًا بإخراج العيون من الحجر بعدد فرقهم، دون إنزال المطر ليحملوه على العادة والصدفة، من دون أن يسندوه إلى دعائه على أنّه معجزة له عليه السلام.

ت. ضرب الحجر فيهما كان بأمر الله إيّاه؛ جاء بالتركيب نفسه: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ إلا أنّ التعبير عن أمره تعالى جاء في الأولى قولاً: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، وفي الثانية: جاء وحيًا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَيهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾؛ و(الوحي) أشرف وأعلى وأخصّ من (القول)؛ فيفهم منه أنّ القول في الأولى كان وحيًا أيضًا، وهذا جارٍ في أقوال الله للأنبياء جميعًا. والله العالم.

وهناك اختلاف في مفردات الآية في سورة الأعراف عنه في الآية من سورة البقرة تبعًا إلى سياق السورتين، إذ استبدل الفعل (انبجست) في آية سورة الأعراف بدلاً من (انفجرت) المذكور في آية سورة البقرة، وقد فصّل الدكتور فاضل السامرّائيّ في الفرق بينهما بقوله: «وثمّة فرق بين الانفجار والانبجاس فإنّ الانفجار للماء الكثير، والانبجاس للماء القليل. وكلّ تعبير يناسب موطنه. فإنّ المقام في سورة البقرة مقام

تعداد النعم كما ذكرنا. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أنّ موسى هو الذي استسقى ربّه فناسب إجابته بانفجار الماء. ومن ناحية ثالثة أنّ الله قال لموسى: اضرب بعصاك الحجر ولم يوحِ إليه وحيًا فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء بالانبجاس والله أعلم»(١٠٨). وهناك فروق أخرى ذكرها الدكتور استكمالاً لبحثه(١٠٩).

الحجارة للعذاب

جاءت عشر مرّات في تسع آيات (١٠-١٨)؛ ستّ في الدنيا، وثلاث في الآخرة؛ وسياقها جميعًا ذمّ؛ إذ جاءت مفردة (حجارة) فيها على أنّها مادّة للصلابة والخشونة، ورمز للعذاب والشدّة.

أوّلاً: عذاب الدنيا

١. **حكاية عذاب قوم لوط**: جاءت ثلاث من الستّة(١٠-١٢) حكاية عذاب قوم لوط نزلت بهذا الترتيب: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨١-٨٣]. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ *وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٣-٧٧]. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات:٣١-٣٤].

وفيها اختلافٌ لفظًا ومعنًى ناشئ من أنّها نقل بالمعنى تفصيلاً وإيجازًا ككثير من قصص القرآن؛ منها:

أ. أنّ الأُولَيين حكاية وقوع العذاب عليهم، والأخيرة خبر عن أنّه سيقع حكايةً عن هؤلاء الملائكة المرسلين.

ب. أنّ في الأولَيين ذكرًا لوقت نزول العذاب دون الأخيرة؛ وهو الصبح: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، وحين إشراق الشمس: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

ت. جاء فيهما: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾، وفي الأخيرة: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾؛ ففيها(نرسل) وفاعله(الملائكة) بدلاً من (أمطرنا) في الأُولَيين وفاعله (الله)؛ و(طين) بدل (سِجّيل) رعاية لفواصل الآيات التي قبلها والتي بعدها.

ث. أنّ (الحجارة) وُصفت في الأُولى بـ(منضود، مسوّمة عند ربّك)، وفي الأخيرة بـ(مسوّمة عند ربّك)، ولم توصف بها في الثانية. والله العالم.

٢. **مجيء (حجارة) نكرة**: وقد جاءت لفظة (حجارة) فيها جميعًا نكرة وهي اسم جنس للتهويل والإبهام؛ لأنّ: «(الحجارة) كحجار جمع كثرة ل(حجر)، وجمع القلّة أحجار، وجمع (فَعَل) بفتحتين على (فِعال) شاذّ. وابن مالك في (التسهيل)(١١٠) يقول: إنّه اسم جمع لغلبة وزنه في المفردات، وهو الظاهر»(١١١)؛ ليكون المعنى: كأنّها كانت من الكثرة، والشدّة، والصلابة؛ بمنزلة لا تقدّر ولا توصف بوصف.

٣. **حكاية عذاب طائفتين**: جاءت اثنتان منها(١٣و١٤) حكاية عذاب طائفتين بحجارة في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله: إحداهما حادثة الفيل وقد وقعت: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ – ٥] والأخرى ما اقترحه المشركون من العذاب. ولم يقع ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٢-٣٣]؛ وقد جاءت (حجارة) فيهما نكرة أيضًا تهويلاً مع تفاوت بينهما؛ ففي الأولى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾، وفي الثانية ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ وفي كلٍّ من رمي الحجارة من سجّيل وإمطارها من السماء نوع من التعنيف والتخويف. وهناك اختلاف آخر: أنّ الأُولى قد وقعت تعظيماً للكعبة، والثانية أنّ الحجارة لم تقع تعظيماً للنبيّ ﷺ، كما نطق به ما بعدها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٤. **للتكبير والتشديد**: جاءت (الحجارة) في واحدة من الستّ؛ وهي الخامسة عشرة فيها مرّتين معرّفة بلام الجنس تكبيرًا وتشديدًا تشبيهًا بها قلوب بني إسرائيل بعدما رأوا الآيات: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

وقد شُبّهت فيها شقاوة قلوبهم؛ وهي أمر باطنيّ نفسانيّ، بصلابة الحجارة وهي جسم مرئيّ تجسيماً لشقاوتها؛ أي: لو تجسّمت قلوبهم لكانت في الشدّة والصلابة كالحجارة أو أشدّ منها فلا تنفذ فيها الموعظة، كما أنّ الحجارة لا ينفذ فيها جسم آخر؛ وهذا من قبيل تشبيه غير المحسوس بالمحسوس؛ وهو نوع من التشبيه في علم البلاغة. ثمّ إنّ القرآن لم يكتفِ في تجسيم قلوبهم بالحجارة؛ بل زاد عليها(أشدّ منها)،

ثمّ بيّن كيف كانت تلك القلوب، أشدّ من الحجارة؛ فوصف الحجارة بأوصاف ثلاثة تحاكي انعطافها وتأثرها أحيانًا، وهي تفجّر الأنهار، وشقّها فيخرج منها الماء، وحبوطها من خشية الله.

ثانيًا: عذاب الآخرة

١. **جواب للمشككين**: أمّا الحجارة في الآخرة؛ فجاءت ثلاث مرّات، واحدة منها؛ وهي السادسة عشرة جوابًا عن تشكيك المشركين في بعث الموتى بعد أن كانوا عظامًا ورفاتًا: ﴿وَقَالُوا ءإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١]؛ فدفع شبهتهم: أنّ العظام والرفات كيف تبعث من جديد؟ بأنّهم لو تحوّلوا عن العظام والرفات إلى شيء أشدّ منها صلابة ومقاومة كالحجارة والحديد، أو ما هو أكبر منهما في تصوّركم فتبعثون. ثمّ طرحوا سؤالاً عمّن يعيدهم فأجاب: يعيدكم من خلَقكم أوّل مرّة، وسؤالاً آخر عن وقته فأجاب: إنّه قريب. وجاءت (حجارة) فيها نكرة معطوفًا عليها (جديدًا) لتأكيد صلابتها، بما لا يقدّر ولا يحدّ بحدّ.

٢. **توصيف لنار جهنّم**: جاءت اثنتان منها؛ وهما السابعة عشرة والثامنة عشرة؛ توصيفًا لنار جهنّم بأنّ وقودها الناس والحجارة تشديدًا في حرارتها؛ حيث تأكل الناس والحجارة وتحرقهم معًا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]. و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]؛

وقد وُصفت النار فيهما بوصف واحد ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، ثمّ بوصفين مختلفين؛ وعيدًا: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ و ﴿عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، ثمّ حذّرهم بلفظين تلفظًا، وواحدٍ جذرًا: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾؛ تحفظًا لأنفسهم فقط، و ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾؛ تحفظًا لأنفسهم وأهليهم. وجاءت فيهما (الحجارة) معرّفة بلام الجنس وهو الظاهر أو بلام العهد إشارة إلى نوع خاصّ من الحجارة شديدة التصلّب، أو شديدة الاحتراق، أو (اللام) لاستغراق الجنس؛ أي: هذه النار مستعدّة وصالحة لأنْ تحرق كلّ ما أُلقي فيها من الناس والحجارة؛ وردّه أبو حيّان بأنّ الظاهر أنّ هذا الوصف واقع بالفعل، لا أنّها تصلح له. بقوله: «... وقيل: هو الكبريت الأسود، أو حجارة مخصوصة أُعدّت لجهنّم إذا اتقدت لا ينقطع وقودها... أو(الحجارة) ما اكتنزوه من الذهب والفضة تُقذف معهم في النار ويكوون بها، وعلى هذه الأقوال، لا تكون الألف واللام في الحجارة للعموم، بل لتعريف الجنس. وذهب بعض أهل العلم إلى أنّها تجوز أن تكون لاستغراق الجنس، ويكون المعنى أنّ النار التي وُعدوا بها صالحة لأن تحرق ما أُلقي فيها من هذين الجنسين؛ فعبّر عن صلاحيّتها واستعدادها بالأمر المحقّق. وإنّما ذكر (الناس والحجارة) تعظيمًا لشأن جهنّم، وتنبيهًا على شدّة وقودها؛ ليقع ذلك من النفوس أعظم موقع، ويحصل به من التخويف ما لا يحصل بغيره، وليس المراد الحقيقة. وما ذهب إليه هذا الذاهب من أنّ هذا الوصف هو بالصلاحيّة لا بالفعل، غير ظاهر؛ بل الظاهر أنّ هذا الوصف واقع لا محالة بالفعل؛ ولذلك تكرّر الوصف بذلك. وليس في ذلك أيضًا ما يدلّ على أنّها ليس فيها غير (الناس والحجارة) بدليل ما ذكر في غير موضع، من كون الجنّ والشياطين فيها»[١١٢]. وقال كثير[١١٣] منهم تبعًا إلى ابن مسعود وابن عباس[١١٤] إنّها حجارة الكبريت؛ لأنّها تزيد كما قال ابن عطيّة

على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الاتقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدّة الالتصاق بالأبدان، وقوّة حرّها إذا أُحميت(١١٥). وردّها الزمخشريّ بأنّه تخصيص بغير دليل، وذهاب عمّا هو الصحيح المشهود له بمعاني التنزيل، وأنّه لو صحّ عن ابن عباس فلعلّه عنى به أنّ الأحجار كلّها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران؛ بقوله: «فإن قلت: لمَ قُرِن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وَقودًا؟ قلت: لأنّهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصنامًا وجعلوها لله أندادًا وعبدوها من دونه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وهذه الآية مفسّرة لما نحن فيه؛ فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في معنى الناس والحجارة، و ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ في معنى وَقودها. لمّا اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنّها الشفعاء والشهداء الذين يستنفعون بهم، ويستدفعون المضارّ عن أنفسهم بمكانهم، جعلها الله عذابهم؛ فقرنهم بها محماة في نار جهنّم إبلاغًا في إيلائهم وإغراقًا في تحيّرهم، ونحوه ما يفعله بالكافرين الّذين جعلوا ذهبهم وفضّتهم عُدّة وذخيرة؛ فشحّوا بها ومنعوها من الحقوق؛ حيث يحمى عليها في نار جهنّم فتُكوى بها جباههم وجنوبهم. وقيل: هي حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل، وذهاب عمّا هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل»(١١٦). ووافقه البيضاويّ لما ذكره؛ بقوله: «وقيل: حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل وإبطال للمقصود؛ إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها، بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها، والكبريت تتقد به كلّ نار وإن ضعفت. فإن صحّ هذا عن ابن عباس فلعلّه عنى به أنّ الأحجار كلّها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران. ولمّا كانت الآية مدنيّة نزلت بعدما نزل بمكة

قوله تعالى في سورة التحريم ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، وسمعوه، صحّ تعريف النار ووقوع الجملة صلة؛ فإنّها يجب أن تكون قصّة معلومة»[117].

وأقول: إنّ ما ذكره صحيح ولكنّه غلط في قوله: «ولمّا كانت الآية يعني آية البقرة مدنيّة بعد ما نزل في سورة التحريم ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وسمعوه، صحّ تعريف النار ووقوع الجملة صلة؛ فإنّها تجب أن تكون قصّة معلومة»؛ إذ أراد أنّ (اللام) فيها للعهد الذهنيّ، أو الذكريّ؛ ووجه الغلط: أنّ سورة التحريم مدنيّة، وأنّها نزلت بعد البقرة. واختاره أبو السعود أيضًا بقوله: «أشير ها هنا إلى ما سمعوه أوّلاً... آية التحريم...، وكون سورة التحريم مدنيّة لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك، كما هو المشهور. وأمّا أنّ الصفة أيضًا يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب فالخطبُ فيه هيّن، لِما أنّ المخاطب هناك المؤمنون، وظاهر أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله والمراد بـ(الحجارة): الأصنام، وبـ(الناس) أنفسهم، حسبما: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]»[118].

٣. **وجه الجمع بين (الناس والحجارة)**: قالوا: في وجه الجمع بين (الناس والحجارة) وجوه:

أ. أنّهم قرنوا أنفسهم بالحجارة في الدنيا وهي الأصنام التي نحتوها وعبدوها؛ فقرنهم بها في النار؛ يقول الطبرسيّ: «والظاهر أنّ (الناس والحجارة) وَقود النار؛ أي: حطبها؛ يريد بها أصنامهم المنحوتة من الحجارة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]»[119].

ب. أنّهم اعتقدوا أنّ أصنامهم شفعاؤهم عند الله؛ تدفع عنهم العذاب؛ فجعلها عذابًا لهم؛ بذلك جمع بين العذاب الجسمانيّ والروحيّ؛ يقول الزمخشريّ: «لمّا اعتقد الكفّار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنّها الشفعاء والشهداء

الذين يستنفعون بهم، ويستدفعون المضارّ عن أنفسهم بمكانهم؛ جعلها الله عذابهم؛ فقرنهم بها مُحمّاة في نار جهنّم؛ إبلاغًا في إيلامهم وإغراقًا في تحيّرهم»(١٢٠). ويقول الآلوسيّ: «وقيل: المراد بها الأصنام التي ينحتونها وقرنها بهم في الآخرة زيادة لتحسّرهم؛ حيث بدا لهم نقيض ما كانوا يتوقعون، وهناك يتمّ لهم نوعان من العذاب: روحانيّ وجسمانيّ»(١٢١).

ت. أنّه ذكرها تعظيمًا لحرارة النار؛ إذ إنّها تحرق مع الناس الحجارة؛ خلافًا لنار الدنيا؛ إذ إنّها تحرق الناس دون الحجارة؛ يقول الماورديّ: «إنّ الحجارة وَقود النار مع الناس، ذكر ذلك تعظيمًا للنار؛ كأنّها تحرق الحجارة مع إحراقها الناس»(١٢٢).

ث. أنّ أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح، أو ليجدّدها؛ يقول الطوسيّ: «وقيل: إنّ أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح»(١٢٣). ويقول الطبرسيّ: «وقيل: معناه أنّ أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله إيّاها، ويؤيّد ذلك قوله ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ [النساء:٥٦]»(١٢٤).

ج. أُريد بـ (الحجارة): «الذين هم في صلاتهم عن قبول الحقّ كالحجارة كمن وصفهم بـ ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]»(١٢٥).

ح. يقول أبو حيّان: «وقيل: إنّ أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا، فينشئ الله سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج، ويرفعون رؤوسهم إليها؛ فتمطر عليهم حجارة عظامًا كحجارة الرَّحى؛ فتزداد النار إيقادًا والتهابًا»(١٢٦). وأقول: وهذا لا يستفاد من الآية إلاّ برواية صحيحة وليس من رواية.

خ. أنّ **الحجارة** هي ما كنزوه من الذهب والفضة تُقذف معهم في النار وتُكوى بها أجسامهم؛ كما قال ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]؛ يقول الآلوسيّ: «وحَملها على الذهب والفضة لأنّهما يسمّيان حَجَرًا كما في القاموس دون هذين القولين؛ الأصحّ أوّلهما عند المحدّثين، وثانيهما عند الزمخشريّ... وأل فيها على كلٍّ ليست للعموم، وذهب بعض أهل العلم إلى أنّها له، ويكون المعنى أنّ النار التي وُعدوا بها صالحة لأن تحرق ما أُلقي فيها من هذين الجنسين؛ فعبّر عن صلاحيّتها واستعدادها بالأمر المحقق»[١٢٧].

د. أنّهم في رفضهم دعوة الأنبياء؛ فهم حجارة باطنًا، وإن ظهروا بمظهر الآدميّ؛ يقول سيّد قطب: «ففيم هذا الجمع بين (الناس والحجارة)، في هذه الصورة المفزعة الرعيبة؟ لقد أُعدّت هذه النار للكافرين الذين سبق في أوّل السورة وصفهم بأنّهم: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، والذين يتحدّاهم القرآن هنا فيعجزون، ثمّ لا يستجيبون؛ فهم إذن حجارة من الحجارة وإن تبدو في صورة آدميّة من الوجهة الشكليّة؛ فهذا الجمع بين الحجارة من الحَجَر والحجارة من الناس هو الأمر المنتظر»[١٢٨].

ذ. وهناك قضيّة صوتيّة وردت في الآيتين؛ وهي قضيّة المقطع[١٢٩]؛ والمقطع فيهما هو (قو) في (فَاتَّقُوا) و (وَقُودُهَا) و (قُوا) و (وَقُودُهَا)؛ فإنّه مكوّن من صوت القاف، وهو صوت لهويّ انفجاريّ مجهور لدى القدماء؛ ومخرجه: «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى»[١٣٠]. وهو لهويّ انفجاريّ مهموس لدى المحدثين[١٣١]. ثمّ يتبعه الواو بامتداده؛ لأنّه حين

يُنطق به: «تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمّة، ثمّ تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى. وتضمّ الشفتان ويسدّ الطريق إلى الأنف برفع الحنك واللين ويتذبذب الوتران الصوتيّان»[١٣٢]. وما أريد قوله: هو أنّ الاستعمال القرآنيّ جاء في هذا الموضع ليحكي أصوات الناس المحترقين بالحجارة المقرونين بها؛ واصطراخاتهم واعولالاتهم؛ فضلاً على حكاية أصوات الحجارة حين تتحطّم؛ وهي مشتعلة على رؤوسهم؛ وهي بأعداد هائلة لا يعلم عدّها إلاّ الله. والله العالم.

الحَنْجرة

ذكرنا في بَدء البحث أنّ اللغويّين لم يذكروا وجه تسمية الحنجرة مع أنّهم جاؤوا بها في مادّة (ح، ج، ر)؛ وهنا يحقّ لي أن أدلوَ بدلوي؛ فأقول: أظنّ أنّ وجه تسميتها: أنّ الهواء الخارج من الجوف حين يمرّ بها يُحبس فيضيق عليه المرور، فمن هذا الحبس والمنع والتضييق سُمّيت بذلك؛ ووضعوا النون لمنع اللبس الذي يحصل بينها وبين (الحجرة). استندتُ في ذلك إلى تعريف الحنجرة الذي في كتب علماء الصوت المحدثين؛ يقول الدكتور كمال محمّد بشر: «الحنجرة larynx وهي تقع في أسفل الفراغ الحلقيّ، وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائيّة (وهي الممرّ المؤدّي إلى الرئتين). وهي أشبه بحجرة ذات اتساع معيّن ومكوّنة من عدد من الغضاريف...»، ثمّ يضيف قوله حين يتحدّث عن الوترين الصوتيّين اللذَين فيها: «... فينغلق ممرّ الهواء نهائيًّا، وقد يقترب أحدهما من الآخر لدرجة تسمح بمرور الهواء ولكن بشدّة وعسر، ومن ثمّ يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقيّة»[١٣٣].

إنّ اللغويّين العرب لم يعرفوا الوترين الصوتيّين؛ لذا لم يتحدّثوا عنهما في دراساتهم؛ يقول الدكتور كمال محمّد بشر: «والملاحظ أنّ لغويي العرب قد تكلموا عن ظاهرتي الجهر والهمس. كما تكلموا عن المجهور والمهموس من الأصوات. ولكنّهم في مناقشتهم لم يشيروا إلى الأوتار الصوتيّة، ولم يعتمدوا على أوضاعها في تحديد الجهر والهمس»[١٣٤]. ثمّ إنّ هناك أمرًا آخر له عُلقة باستعمال الحنجرة في موضع الضيق والمنع؛ إذ استعمل القرآن لفظ (الحناجر) مرّتين في سياق الموقف[١٣٥]؛ **الأوّل**: حين ضاقت الأرض على المسلمين يوم الخندق؛ حين حوصروا وشعروا بالهزيمة، وقدوم الموت؛ وضاقت سُحورهم (رئاتهم) عليهم؛ قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، **والآخر**: في مقام الإنذار والتحذير من يوم سيأتي المكذبين؛ (وهو القيامة)؛ إذ تضيق فيه صدورهم ضيقًا شديدًا؛ ويكونون مغمومين مكروبين ممتلئين غمًّا قد أطبقوا أفواههم على قلوبهم من شدّة الخوف، حتى تصير إلى الحناجر؛ يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. والله العالم[١٣٦].

نتائج البحث

لا بدّ لكلّ بحث من نتائج تخرج من بين تقصٍّ وكدّ ذهن؛ فجاء بما يأتي بيانه:

١. تبيّنت لنا مرادفات لـ (حِجر)؛ وهي: (المنع والعقل واللبّ والحلم والدين والحجى والستر).

٢. أنّ (هل) في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ في موضع إنّ؛ تقديره: إنّ في ذلك قسمًا لذي حجر؛ فـ (هل) على هذا في موضع جواب القسم.

٣. أنّ لفظة (حجر) من لهجة قريش؛ لأنّ ورودها في هذه الآية وما قبلها من الآيات كلّها مكّيّة؛ فينقدح في الذهن أنّ (حِجْرًا) بمعنى المنع لغة مكّيّة؛ إذ لم يأتِ في المدنيّات بهذا المعنى؛ لذا جاءت تخاطبهم بلغتهم.

٤. وجاء مكان (حجر) في القرآن (أولوا الألباب) ست عشرة مرّة، وأفعال من (عقل): (تعقلون) أربعًا وعشرين مرّة، و (يعقلون) اثنتين وعشرين مرّة، و(يعقلها)، و(عقلوه)، و(نعقل)؛ لكلٍّ مرّة واحدة.

٥. لحظت على أقوال المفسّرين أنّهم لم يتطرّقوا إلى الجانب اللغويّ في (أصحاب الحجر) سوى ما ذكروا أنّ لفظ (الحجر) مأخوذ من المنع، أو من الحجارة.

٦. أنّ النصّ إنّما جاء بـ (الحِجْر) الدالّ على المنعة والقوّة ليناسب التركيب الذي بُدئ بالتوكيد والتثبيت.

٧. كان التعبير بالحجرات أوقع وأنسب؛ وكأنّ ذلك توبيخ وتحذير وتوجيه لهؤلاء الذين لا يراعون موضع النبيّ ﷺ فيهم، ويهتكونه في حَرَمه وحُرَمه، ولا يحفظون كرامته في شأنه الخاصّ.

٨. أنّ اللام التي في (الحجرات) هي للعهد الذهنيّ؛ إذ إنّ حجراته كانت معهودة كمسجده ومدينته، والإطلاق فيها جميعًا دلّ على مكانته السامية في مجتمع المدينة؛ مثلما كان يطلق لفظ (النبيّ)؛ فينصرف إليه ﷺ؛ فالحجرات من غير إضافة فيها توقير له ﷺ.

٩. أنّ لفظة (الحجرات) حين وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم؛ فإنّما هي خاصّة به ومنحصرة، وليس لها نظير، وهذا توقير آخر له ﷺ.

١٠. أنّ لفظ (الحجرات) جاءت وسطًا من الآية الكريمة؛ وكأنّ ذلك يُشعر بأنّ نساء النبيّ ﷺ في كنفٍ لا ينبغي لأحد من الناس أن يدخل إليه.

١١. أنَّ (ال) التعريف في (الحجر) حجر موسى للعهد الذهنيّ، والدليل على ذلك أنّ كلمة الحجر جاءت في الآيتين الكريمتين معرّفة بـ (ال)، دلالة على أنّه حجر معيّن معلوم بعينه، كانوا ينقلونه من مكان إلى آخر حيث نزلوا، أو وجدوه في كلّ منزل من دون أن ينقلوه.

١٢. أنّ وجه تسمية الحنجرة بهذا الاسم نابع من ضيق مرور الهواء فيها، فمن هذا الحبس والمنع والتضييق سُمّيت بذلك؛ ووضعوا النون لمنع اللبس الذي يحصل بينها وبين (الحجرة).

---

١. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن للدكتور محمّد عبدالله دراز ٣٩.
٢. التطوّر الدلاليّ بين لغة الشعر الجاهليّ والقرآن الكريم ل: عودة خليل أبو عودة٧٦.
٣. ينظر: الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس ٤٢.
٤. ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشيّ٣٠٢.
٥. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام٦٨٦.
٦. ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ٦٨٤.
٧. ينظر: الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيديّ١٢١-١٢٢.
٨. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى العلويّ ١/ ١٤- ١٨.
٩. الألسنيّة العربيّة، ل: ريمون طحان ١٣.
١٠. ينظر العين للفراهيديّ ٣/ ٧٣.
١١. ينظر العين ٣/ ٧٣
١٢. ينظر العين ٣/ ٧٣.
١٣. ينظر:الجيم لأبي عمرو الشيبانيّ ١/ ١٤٣.
١٤. ينظر:الجيم١/ ١٤٨.
١٥. ينظر:الجيم١/ ١٧٠.

١٦. ينظر:الجيم ١/ ١٨٥.
١٧. ينظر:الجيم١/ ١٨٥.
١٨. ينظر: تهذيب اللغة للأزهريّ ٤/ ١٣٤
١٩. ينظر: تهذيب اللغة٤/ ١٣٤.
٢٠. ينظر: تهذيب اللغة٤/ ١٣٥
٢١. مفردات الراغب الأصفهاني١٠٨.
٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/ ٣٤١.
٢٣. دائرة المعارف الإسلامية ٣٧٥.
٢٤. ينظر:تفسير الطبريّ ٣٠/ ١٧٤. وابن عباس هو:عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم. عرض على أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعليّ وعليه سعيد بن جبير وأبو جعفر المدنيّ وسليمان بن قتة وعكرمة بن خالد(ت بالطائف ٦٨هـ). ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ١/ ٤٢٥.
٢٥. ينظر: تفسير الصافي للكاشاني ٥/ ٣٢٤. والإمام الباقر هو: الإمام محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.، خامس الأئمّة الاثني عشر(عليهم السلام) وردت عنه الرواية في حروف القرآن. عرض على أبيه زين العابدين، وقرأ عليه ابنه الإمام جعفر الصادق، كان سيّد بني هاشم علماً وفضلاً وسُنّة (ت بالمدينة ١١٨هـ) ودفن بالبقيع. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/ ٢٠٢.
٢٦. ينظر: تفسير الطبريّ ٣٠/ ١٧٤. ومجاهد هو: مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المكّيّ، أحد الأعلام من التابعين والأئمّة المعاصرين قرأ على عبدالله بن السائب وعبدالله بن عباس، أخذ عنه عرضًا عبدالله بن كثير وابن محيصن وأبو عمرو بن العلاء والأعمش وحميد الأعرج، (ت١٠٣هـ). ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/ ٤١.
٢٧. ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٧.
٢٨. ينظر: تفسير القمّيّ ٢/ ٤١٩.
٢٩. ينظر: البحر المحيط ٨/ ٤٦٦.
٣٠. ينظر: الدرّ المصون ٦/ ٥١٨.
٣١. ينظر: تفسير الميزان ٢/ ٢٧٩.
٣٢. ينظر: تفسير الطبريّ ٣٠/ ١٧٤.
٣٣. ينظر: النكت والعيون ٦/ ٢٦٧. وابن كعب القرظيّ هو: محمّد بن كعب بن سليم أبو حمزة، ويقال أبو عبدالله. كان أبوه من سبي قريظة، من أولاد كهنة اليهود، ولد سنة٣٩هـ

ومات سنة ١١٧هـ. كان يقصّ في المسجد فسقط عليه السقف فمات هو وجماعة معه. روى عن فضالة بن عبيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم. ينظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠، ٤٢٢. و غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/ ٢٣٣.

٣٤. ينظر: تفسير الطبريّ ٣٠/ ١٧٤.

٣٥. ينظر: معاني القرآن ٣/ ٢٦٠.

٣٦. تفسير الطبري ٣٠/ ١٧٣.

٣٧. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢١، وينظر: مجمع البيان للطبرسيّ ٥/ ٤٨٥، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٦/ ٣٩٠٣.

٣٨. ينظر: النكت والعيون ٦/ ٢٦٧، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣.

٣٩. ينظر: تفسير التبيان للطوسيّ ١٠/ ٣٤٢، وينظر: معالم التنزيل للبغويّ ٥/ ٢٤٨.

٤٠. ينظر: الكشاف ٤/ ٢٤٩، وينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٣١/ ١٦٥، وأنوار التنزيل للبيضاويّ ٢/ ٥٥٧، ومدارك التنزيل للنسفيّ ٤/ ٣٥٤، وغرائب القرآن للنيسابوري ٣٠/ ٩٠، ولباب التأويل للخازن ٧/ ٢٠١، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود٦/ ٤٢٤، وروح البيان للبروسوي١٠/ ٤٢٢، ومحاسن التأويل للقاسميّ ١٧/ ٦١٤٦.

٤١. ينظر: تفسير القرآن لابن كثير٧/ ٢٨٤.

٤٢. وهو: أبو بِسطام بن حيّان النبطيّ البلخيّ الخرّاز توفي حوالي ١٥٠هـ، وهو ابن دوال دوز، ومعناه الخرّاز. روى عن عمّته عمرة وسعيد بن المسيّب وعكرمة وشهر بن حوشب وقتادة والضحاك وجماعة. وثقه ابن معين، وذكره ابن حبّان في الثقات قال ابن حجر: كان مقاتل ناسكًا فاضلاً؛ وهم أربعة أخوة: مقاتل والحسن ويزيد ومصعب أبناء حيّان. ينظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٨.

٤٣. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣.

٤٤. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣.

٤٥. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢١.

٤٦. الكتاب ١/ ٣٢٦.

٤٧. الكشاف ٣/ ٨٨.

٤٨. وهي قراءة الحسن والضحاك. ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه١٠٤. والحسن هو: البصريّ أبو سعيد الحسن بن يسار، ولد في المدينة سنة ٢١هـ وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ، قرأ على حطان بن عبدالله الرقاشيّ وعلى أبي العالية الرياحيّ، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ١/ ٢٣٥، ٢٥٤. والضحاك هو: الضحاك بن مزاحم أبو القاسم

الهلاليّ (مولاهم) الخراسانيّ، تابعيّ. وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أخذ عن أبي هريرة وابن عباس وأبي سعيد وابن عمر وزيد بن أرقم، وسمع سعيد بن جبير وأخذ عنه التفسير، وأخذ عنه عبدالرحمن بن عوسجة وعبدالعزيز بن أبي رواد وقرة بن خالد وخلق. قال سعيد بن جبير لم يلق ابن عباس ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة. قال أبو نعيم مات سنة ١٠٥هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ١/ ٣٧٧.

٤٩. ينظر: أنوار التنزيل للبيضاويّ ٢/ ١٤٢.

٥٠. وهو: أبو الخطاب السدوسيّ البصريّ الأعمى (ولد أكمه) المفسّر، قتادة بن دعامة أحد الأئمّة في حروف القرآن، وله اختيار. روى عن أبي العالية وأنس بن مالك (ت١١٧هـ). ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/ ١٦٥.

٥١. ينظر: تفسير الطبريّ ١٩/ ٢، وينظر: روح المعاني للآلوسيّ ١٩/ ٦.

٥٢. الكشاف ٣/ ٩٦

٥٣. ينظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٣.

٥٤. ينظر النكت والعيون ٤/ ١٤٠. وعكرمة هو: عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله المفسّر. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن مولاه وأبي هريرة وابن عمر. وروى عنه أبو عمرو.(ت١٠٥هـ، ١٠٦هـ) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ١/ ٥١٥.

٥٥. التفسير الكبير للفخر للرازيّ٢٤ / ٧١.

٥٦. إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٥/ ٥.

٥٧. ينظر: التفسير الكبير للفخر للرازيّ ٢٤/ ٧١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢١.

٥٨. تفسير الطبريّ ١٩/ ٢، وتفسير القرآن لابن كثير٥/ ١٤٣.

٥٩. لطائف الإشارات ٤/ ٣٠٤.

٦٠. التحقيق ٢/ ١٨٣.

٦١. مجمع اللغة ١/ ٢٣٩.

٦٢. روح البيان ٦/ ٢٠١.

٦٣. وهو عند المحدثين: مركّب؛ أي: انفجاريّ احتكاكيّ، ينحبس الهواء عند النطق به، ثمّ يعقبه انفجار بطيء يتلوه مباشرة احتكاك مسموع. ينظر: دراسة الصوت اللغويّ، للدكتور أحمد مختار عمر٣٢٢.

٦٤. ينظر في مجمع البيان ٤/ ١٣٠ أنّه: روي ذلك عن أُبيّ بن كعب، وابن مسعود وابن الزبير، والأعمش، وعكرمة، وعمرو بن دينار.

٦٥. مجمع البيان ٤/ ١٣٠.

العميد مجلة فصلية محكمة

٦٦. تفسير الطبريّ ١٤/ ٤٩.
٦٧. تفسير الطبريّ ١٤/ ٤٩، وينظر: مجمع البيان ٣/ ٣٤٣، والتفسير الكبير للفخر للرازيّ ١٩/ ٢٠٥.
٦٨. ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ١٦٩، والكشاف٢/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز لابن عطية٣/ ٣٧٢، وأنوار التنزيل للبيضاويّ ١/ ٥٤٥، وروح المعاني للآلوسيّ١٤/ ٧٥.
٦٩. تفسير التبيان ٦/ ٣٥١، وينظر: مجمع البيان٣/ ٣٤٣.
٧٠. التحقيق ٤/ ٤٨٢.
٧١. التحرير والتنوير ١٣/ ٥٨.
٧٢. الجموع في اللغة العربيّة ٣. وينظر: الفصل الرابع من الكتاب نفسه من الصفحة ١٢١ إلى الصفحة١٦٦.
٧٣. شرح ابن عقيل ٢/ ٤٤.
٧٤. تفسير الميزان ١٢/ ١٨٥.
٧٥. ينظر: أساس البلاغة ٧٤، و المصباح المنير للفيومي ١/ ١٢١، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٢/ ٤، ومجمع البحرين للطريحيّ ٣/ ٢٥٩.
٧٦. الكشاف ١/ ٥١٧.
٧٧. المحرر الوجيز ٢/ ٣٢.
٧٨. مجمع البيان ٢/ ٢٩.
٧٩. التفسير الكبير للفخر للرازيّ ١٠/ ٣٣.
٨٠. أنوار التنزيل للبيضاويّ ١/ ٢١٢.
٨١. مدارك التنزيل للنسفيّ ١/ ٢١٨.
٨٢. مجمع البيان ٢/ ٢٩.
٨٣. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحليّ: القسم الثاني٢٨٧.
٨٤. معاني القرآن ٣/ ٧٠، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٩، وتفسير الطبريّ٦/ ١٢.
٨٥. وهي قراءة أبي جعفر وهو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزوميّ المدنيّ القارئ. أحد القرّاء العشرة مشهور كبير القدر. عرض القرآن على مولاه عبدالله بن أبي عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة. قال يحيى بن معين: «كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمّي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث». وقال ابن أبي حاتم «سألت أبي عنه فقال: صالح الحديث» (ت ١٣٠هـ) بالمدينة، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/ ٣٨٢.

٨٦. معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣.

٨٧. تفسير التبيان ٩/ ٣٤٢.

٨٨. معالم التنزيل للبغويّ ٤/ ٢٥٥، وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ١٤٦.

٨٩. الكشاف ٣/ ٥٥٨، وينظر: أنوار التنزيل للبيضاويّ٢/ ٤٠٧، ومدارك التنزيل للنسفيّ ٤/ ١٦٧، وتفسير القرطبيّ١٦/ ٣١٠، والبحر المحيط٨/ ١٠٨.

٩٠. مجمع البيان ٥/ ١٢٩.

٩١. روح المعاني للآلوسيّ ٢٦/ ١٣٩.

٩٢. ينظر العين ٨/ ١٣٨، والصحاح للجوهريّ ١/ ٢٤٤.

٩٣. ينظر: الكشاف: ٧٨، وتفسير القرطبي: ١/ ٢٨٦، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٢٢٧، ٥/ ٣٨٨، التفسير الكبير للفخر الرازيّ:٥/ ٣٨٨.

٩٤. التفسير الكبير للفخر الرازيّ:٥/ ٣٨٨.

٩٥. الكشاف: ٧٩.

٩٦. ينظر التفسير الكبير للفخر الرازيّ: ١/ ٥٢٨، والبرهان في تفسير القرآن ١/ ٢٢٨، وتفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ١١٠.

٩٧. ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازيّ:١/ ٥٢٨، وتفسير القرطبي: ١/ ٢٨٥.

٩٨. وفي هذا رواية من الإسرائيليات؛ فعن أبي هريرة ونصّه كما جاء في صحيح مسلم: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ موسى كان رجلاً حييًا سِتّيرًا، لا يُرَى من جلده شيءٌ استحياءًا منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إمّا برص و إمّا أدَرة و إمّا آفة، وإنّ الله أراد أن يبرئه ممّا قالوا لموسى؛ فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغتسل، فلمّا فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عُريانًا، أحسن ممّا خلق الله وبرّأه ممّا يقولون، وقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه، و طفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إنَّ بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب:٦٩]». فإنّها مردودة لأنَّ الحديث نفسه مردود بسنده أولاً. ينظر: صحيح مسلم:الحديث رقم (٣٣٩) الصحيفة (١٣٨). وينظر:على سبيل التمثيل: أضواء على السنة المحمّدية لـ (محمود أبو رية):٢٢٦-٢٣٠.

٩٩. ينظر:البحر المحيط:١/ ٢٢٨.

١٠٠. ينظر: البحر المحيط:١/ ٢٢٨، والتفسير الكبير للفخر للرازيّ: ١/ ٥٢٨.

١٠١. ينظر: الكشاف:٧٨.
١٠٢. ينظر: البحر المحيط:١/ ٢٢٧.
١٠٣. ينظر: تفسير القرطبي:١/ ٢٨٥.
١٠٤. ينظر: أصول الكافي:١/ ٢٥٨.
١٠٥. ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازيّ:١/ ٥٢٨، والبحر المحيط: ١/ ٢٢٧.
١٠٦. (الكذان) حجر واحده (كذَّانة) وهي حجارة فيها رخاوة وربما تكون نخرة على ما جاء في لسان العرب: (كذن)١٧/ ٢٣٧.
١٠٧. البحر المحيط: ١/ ٢٢٧.
١٠٨. التعبير القرآنيّ ٢٨٦.
١٠٩. ينظر: التعبير القرآنيّ ٢٨٥ ٢٨٧.
١١٠. ينظر: التسهيل ٢٦٧.
١١١. روح المعاني للآلوسيّ ١/ ١٩٨.
١١٢. البحر المحيط١/ ١٠٨.
١١٣. ينظر: معاني القرآن للفراء١/ ٢١، وتفسير الطبريّ ١/ ١٦٨، وتفسير التبيان للطوسي ١/ ١٠٦، ومفردات الراغب١٠٨.
١١٤. تفسير الطبريّ١/ ١٦٨.
١١٥. ينظر المحرر الوجيز ١/ ١٠٧.
١١٦. الكشاف ١/ ٢٥٢.
١١٧. أنوار التنزيل للبيضاويّ١/ ٣٦.
١١٨. إرشاد العقل السليم ١/ ٩٢.
١١٩. مجمع البيان ١/ ٦٣.
١٢٠. الكشاف ١/ ٢٥٢.
١٢١. روح المعاني للآلوسيّ ١/ ١٩٨.
١٢٢. النكت والعيون ١/ ٨٤.
١٢٣. التبيان ١/ ١٠٦.
١٢٤. مجمع البيان ١/ ٦٣.
١٢٥. مفردات الراغب ١٠٨
١٢٦. البحر المحيط١/ ١٠٨.
١٢٧. روح المعاني للآلوسيّ ١/ ١٩٨.

١٢٨. في ظلال القرآن١/ ٤٩.

١٢٩. المقطع: لم يتفق الأصواتيّون على تعريف المقطع؛ ومن تعريفاته أنّه: ظاهرة صوتيّة لا حدود لها، أو هو تتابع الأصوات الكلاميّة، له حدّ أعلى أو قمّة إسماع طبيعيّة تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع. أو قطاع من تيّار الكلام يحوي صوتًا مقطعيًّا ذا حجم أعظم، محاطًا بقطاعين أضعف أكوستيكيًّا. ينظر: دراسة الصوت اللغويّ، د.أحمد مختار عمر ٢٨٣-٢٨٤.

١٣٠. الكتاب لسيبويه ٢/ ٤٠٥.

١٣١. علم اللغة العامّ/ القسم الثاني الأصوات١٣٨.

١٣٢. علم اللغة العامّ/ القسم الثاني الأصوات١٧١.

١٣٣. علم اللغة العامّ/ القسم الثاني الأصوات ٨٤ ٨٥.

١٣٤. علم اللغة العامّ/ القسم الثاني الأصوات ١١١.

١٣٥. وهو أن تقع الكلمة في موقف سياق خارجيّ للغة؛ فتتغيّر دلالتها تبعًا إلى تغيّر الموقف أو المقام، وقد أطلق عليه اللغويّون مصطلح: الدلالة المقاميّة، ينظر: علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ٧١.

١٣٦. ينظر: مجمع البيان ٨/ ٩٥، و ٣٢٨.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود(ت ٩٨٢هـ)، محمّد بن محمّد العمادي، دار إحياء التراث.

٢. أساس البلاغة، الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت١٩٧٩م.

٣. أسباب نزول القرآن، الواحديّ (ت ٤٨٧هـ)، أبو الحسن عليّ بن أحمد، تحقيق: السيّد أحمد صقر، الطبعة الأولى (١٣٨٩هـ ١٩٦٩م).

٤. إصلاح المنطق، ابن السكّيت (ت٢٤٤هـ) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠م.

٥. أصول الكافي، الكلينيّ (ت٣٢٩هـ) محمّد بن يعقوب، منشورات المكتبة الإسلاميّة، طهران.

٦. أضواء على السنّة المحمّديّة، محمود أبو رية، نشر البطحاء، قم، الطبعة الخامسة.

٧. الألسنيّة العربيّة، ريمون طحّان، ط بيروت١٩٨٠، دار الكتاب اللبنانيّ.

٨. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيديّ (ت في حدود٤٠٠ هـ)، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة بيروت.

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت١٣٠٥هـ) القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاويّ الشافعيّ، تحقيق عبد القادر عرفان، دار الفكر بيروت، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٠. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ) محمّد بن يوسف بن عليّ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١١. البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ(ت٧٩٤ه)، بدر الدين محمّد بن عبدالله، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

١٢. التبيان في تفسير القرآن، الطوسيّ (ت٤٦٠هـ) محمّد بن الحسن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ.

١٣. التحرير والتنوير، محمّد الفاضل بن محمّد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤هـ). الدار التونسية للنشر والإعلان، تونس ١٩٨٤م.

١٤. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، طبعة دار الترجمة، طهران.

١٥. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك (ت٦٧٢هـ) جمال الدين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله،تحقيق محمّد كامل

بركات، القاهرة، دار الكتاب العربيّة ١٣٨٧ه ١٩٦٧م.

١٦. التطوّر الدلاليّ بين لغة الشعر الجاهليّ ولغة القرآن الكريم، دراسة دلاليّة مقارنة، عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الأردنّ ١٤٠٥ه ١٩٨٥م.

١٧. التعبير القرآنيّ: الدكتور فاضل صالح السامرائيّ، جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٦-١٩٨٧م.

١٨. تفسير الخازن المسمّى بـ (لباب التأويل في معاني التنزيل) الخازن (ت٧٣٥ه) علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم الخازن البغداديّ الصوفيّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥ه ١٩٥٥م.

١٩. تفسير روح البيان الشيخ إسماعيل صفي البروسويّ (ت ١١٣٧ه) دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٠. تفسير الصافي، الفيض الكاشانيّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ه.

٢١. تفسير القاسمي المسمّى (محاسن التأويل) القاسميّ (ت١٣٣٢ه) محمّد جمال الدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٨ه ١٩٧٨م).

٢٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت٧٧٤ه) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ عني بتصحيحه: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه ١٩٨٧م.

٢٣. تفسير القمّيّ، القمّيّ (ت٣٢٩ه) أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، تحقيق وتصحيح السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، الطبعة السادسة، ١٤٠٤ه.

٢٤. التفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

٢٥. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازيّ (٦٠٤ه) الإمام محمّد الرازي فخر الدين دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٦. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن (ت١٥٠ه) مقاتل بن سليمان الأزديّ البلخيّ، تحقيق: د. شحاتة، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه ٢٠٠٢م.

٢٧. تفسير النسفيّ المسمّى بـ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفيّ (ت ٥٣٧ه)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق الشيخ مروان محمّد، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط١، ١٩٩٦م.

٢٨. تهذيب التهذيب، ابن حجر (ت٨٥٣ه)، شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية الطبعة الأولى ١٣٢٥ه.

٢٩. تهذيب اللغة، الأزهريّ (ت٣٧٠ه)، أبو منصور محمّد بن أحمد تحقيق: محمّد

عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٣٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، أبو جعفر بن محمّد جرير دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.
٣١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ (ت٦٧١هـ) أبو عبد الله محمّد بن أحمد، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.
٣٢. جمهرة اللغة، ابن دريد (ت٢٣١هـ)، أبو بكر محمّد بن الحسين بن دريد الأزديّ، دار صادر،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة الكائنة بحيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٤٥هـ.
٣٣. الجيم، أبو عمرو الشيبانيّ (ت٢٠٧هـ)، حقق وقدّم ج١ إبراهيم الأبياريّ، راجعه محمّد خلف الله أحمد، طبع الهيأة العامّة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٩٧٤ .
٣٤. دائرة المعارف الإسلاميّة، مجموعة مستشرقين، النسخة العربيّة، إعداد: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناويّ، د.عبدالحميد يونس، المجلد الثالث عشر، كتاب الشعب، مصر ١٩٣٣م.
٣٥. دراسة الصوت اللغويّ، للدكتور أحمد مختار عمر، ط١، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م.
٣٦. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المحقق: محمّد أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق.
٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ) شهاب الدين السيّد محمود أفندي البغداديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.
٣٨. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٩. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلّيّ (ت٦٧٦هـ) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، تحقيق عبدالحسين محمّد علّي، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
٤٠. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (ت ٧٦٩هـ) تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
٤١. الصاحبيّ في فقه اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحقيق: د.مصطفى الشويمي، مؤسّسة بدران للطباعة والنشر بيروت، ط٢، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.
٤٢. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربيّة، الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ) أبو نصر إسماعيل بن حمّاد المحقق أحمد عبدالغفور عطار،

دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٠م.
٤٣. صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربيّ، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
٤٤. طبقات الحُفَّاظ، السيوطيّ (ت٩١١هـ) الحافظ جلال الدين عبدالرحمن، تحقيق: عليّ محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط١، ١٩٧٣م.
٤٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت٢٣٠هـ)، محمّد بن سعد دار الطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.
٤٦. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلويّ (ت ٧٢٩هـ) يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٤٧. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، دار العروبة بالكويت ١٩٨٢م، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨م.
٤٨. علم اللغة العامّ، القسم الثاني الأصوات، كمال محمّد بشر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٨٠م.
٤٩. العين، الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: د. إبراهيم السامرائيّ ود. مهديّ المخزوميّ، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠-١٩٨٤م.
٥٠. غاية النهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ) شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد تحقيق: برجستراسر، مطبعة السعادة، بمصر ١٩٣٣م.
٥١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القمّيّ النيسابوريّ (ت٧٢٨هـ) نظام الدين الحسن بن محمّد ابن حسين تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٥٢. الفائق في غريب الحديث واللغة، الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تحقيق محمّد عليّ البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، نشره عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧١م.
٥٣. فَعَلتُ وأفْعَلتُ، السجستانيّ (ت٢٥٥هـ) أبو حاتم سهل بن محمّد، حققه ودرسه: الدكتور خليل إبراهيم العطية، جامعة البصرة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٥٤. في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٥٥. القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) محمّد بن يعقوب، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٥٦. الكتاب، سيبويه(ت١٨٠هـ) أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، عالم الكتب، بيروت.
٥٧. الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشريّ،

تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث الغربيّ، بيروت لبنان،١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٨. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق،القاهرة الدار المصريّة للتأليف والترجمة.

٥٩. لطائف الإشارات لفنون القراءات، القسطلانيّ (ت٩٢٣هـ) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمّد، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مطابع الأهرام التجارية القاهرة، ١٩٧٢ م.

٦٠. مجاز القرآن، أبوعبيدة (ت٢١٠هـ) معمر بن المثنى التيميّ، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، ط٢، بيروت ١٩٨١م.

٦١. مجمع البحرين، فخرالدين الطريحي، تحقيق السيّد أحمد الحسينيّ، دار الثقافة، النجف ١٩٦١م.

٦٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ) أبو عليّ الفضل بن الحسن. وقف على تصحيحه والتعليق عليه: السيد باسم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث بيروت ١٣٧٩ق ١٣٣٩ش.

٦٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة (ت٥٤١هـ) أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسيّ المحاربيّ الغرناطيّ، ج١ تحقيق: أحمد صادق الملاح، القاهرة مطبعة الأهرام التجاريّة، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٦٤. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: ابن سيده (ت٤٥٨هـ)، عليّ بن إسماعيل، تحقيق: مصطفى السقا، ود.حسين نصار، مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، الطبعة الأولى، (١٣٧٧هـ ١٩٥٨م).

٦٥. مختصر في شواذّ القراءات من كتاب البديع، ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، تحقيق برجستراسر، المطبعة الرحمانيّة، مصر ١٩٣٤م.

٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ: الفيومي (ت٧٧٠هـ) أحمد بن محمّد بن عليّ، دار القلم (بيروت لبنان).

٦٧. معالم التنزيل، الفرّاء البغويّ (ت ٥١٦هـ) أبو محمّد الحسين بن مسعود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

٦٨. معاني القرآن، الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) أبو الحسن سعيد بن مسعدة تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٦٩. معاني القرآن، الفرّاء (ت٢٠٧هـ) أبو زكريا يحيى بن زياد، ج١، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمّد عليّ النجّار، ط٣، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، تحقيق: محمّد علي النجار، تحقيق: محمّد عليّ النجّار، ج٣، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي،

ط٣، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة.
٧٠. معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج (ت٣١١هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بيروت عالم الكتب ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين بن هشام الأنصاريّ، حققه وعلق عليه الدكتور مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله، راجعه سعيد الأفغانيّ، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٧٢. المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٧٣. مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٧هـ.
٧٤. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسّسة الأعلميّ، ط٢، ٢٠٠٢م.
٧٥. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، الدكتور محمّد عبدالله دراز.
٧٦. النشر في القراءات العشر،ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ) الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقيّ، صحّحه وراجعه عليّ محمّد الضباع، مصر، المكتبة التجاريّة الكبرى.
٧٧. النكت والعيون، الماورديّ (ت٥٦٧هـ)، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصريّ الشافعيّ طبعة دار الكتب، بيروت.
٧٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزريّ، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، انتشارات دار التفسير.